أحمد فارس الشدياق
واضع المنهجية الحديثة للمعجم العربي
للدكتور احمد مختار عمر

مدخل

بعد أحمد فارس الشدياق (أو كما سمى نفسه بالفارياق نحتاً من كلمتى فارس وشدياق) واحدًا من علماء اللغة القلائل الذين عشقوا اللغة العربية وافتتنوا بها، وألفوا حولها الكتب لكشف أسرارها وإبراز مواطن التفوق فيها. ولم يكتف بتأليف الكتب عنها، وإنما كان يحاول — فى استخداماته اللغوية ومن خلال أساليب التعبير التى يختارها — أن يثبت تفوقها وتميزها، وأن يبرز أسرار الجمال فيها؛ حتى إنه صرح فى مقدمة كتابه « الساق على الساق » بأنه هدف أولا إلى « إبراز غرائب اللغة ونوادرها » (ص ١)، كما أنه دافع عن كثرة استخدامه للغريب من الألفاظ وللمترادف والمتقارب منها بأنه قصد به « إبراز محاسن لغتنا هذه الشريفة، وتشويق القارئين » إليها (الساق ص٥٠٩). بل أكثر من هذا نراه يؤلف كتابا يبحث فيه خصائص الحروف الهجائية عند العرب ويختار له عنوانا كاشفاً هو « منتهى الطلب من خصائص لغة العرب » كما نراه يتجه فى كتابه « سر الليال فى القلب والإبدال » إلى رد كل فرع إلى أصله، وتسييق معانى المادة تسييقاً يبين مأخذها وعلاقتها ومناسبتها (سر الليال ص ١٣) ويكشف عن قصده فى اختيار ترتيب يخالف الترتيب الهجائى المعروف مع البدء بالمضعف — يكشف عن قصده قائلا « ولولا ماقصدت من الوصول إلى علم معانى

الألفاظ والاطلاع على أصل وضعها وحكمة مبناها لما كان لى من عاذر على ارتكاب هذه المخالفة » (السابق ص ٢٢) . وقد هداه تفكيره إلى خاصة فريدة فى اللغة العربية وهى بناؤها على أصوات طبيعية : «ولعمرى إنَّ من لم يكن يدرى شيئاً من لغة العرب فإذا سمع متلا لفظة طمطم ودمدم وحلحل وربَّم وكان ذا ذوق سليم فلا بد أن يتوهم أنها حكاية أصوات وكلما كانت اللغة مبنية على هذا المعنى الطبيعى كانت للنفس أسوغ وبالطبع أعلى ولو لم يكن للغة العرب إلَّا هذا الأسلوب البديع ليشهد بأنها أطبع اللغات وأبسطها لكفى » (السابق ص ٢٥) .

كما نراه يعبر عن مكنون نفسه تجاه هذه اللغة الشريفة فيقول فى صدر كتابه « سر الليال » : « إن يكن المتقدمون قد اشتغلوا بهذه اللغة الشريفة فإنى قد عشقتها عشقاً ، وكلفت بها حقاً ، حتى صرت لها رقاً ، فأزهرت لها دبالى وسهرت فيها ليالى . . . فإنى وجدتها قد مرنت بمزايا بديعة وزينت بصفات منيعة ، تظهر معها بهرجة ما سواها شنيعة » (ص ٢) .

وقد انعكس حبه وعشقه هذا فى كثرة المؤلفات اللغوية والأعمال المعجمية التى تركها حول اللغة العربية ، معجمها ونحوها وصرفها ، ومن ذلك .

- المحاورة الإنسانية فى اللغتين الإنجليزية والعربية .

- عمدة الطالب ومنية الراغب فى الصرف والنحو وحروف المعانى .

- كنز اللغات (فارسى - تركى - عربى) .

- الجاسوس على القاموس .

- سر الليال فى القلب والإبدال .

- منتهى الطلب فى خصائص لغة العرب .

(أحمد فارس الشدياق للدكتور محمد يوسف نجم ص ٧٧ - ٨٠) .

هذا إلى جانب تفرق كثير من أبحاثه ومناظراته اللغوية فى كتبه المختلفة وفى مقالاته فى « الجوائب » فقد كان من عادته أن يستطرد فى بعض المواضع إلى البحث اللغوى عندما يجد الجو مهيأ لذلك (السابق ص ١٩٦) .

ولسنا هنا فى مجال عرض كتبه اللغوية أو التعريف بها ، وإنما سنتجه ببحثنا وجهة خاصة يكشف عنها عنوان البحث ، وهى محاولة التعريف بجهود أحمد فارس الشدياق حول المعجم العربى وقضايا ياه .

وسنتناول جهود الشدياق المعجمية فى النقاط التالية :

١ ــ قضايا عامة مرتبطة بالمعجم العربى .

٢ ــ منهجيته المعجمية .

٣ ــ مواصفات المعجمى الناجح .

١ ــ قضايا عامة مرتبطة بالمعجم العربى :

أثار الشدياق فى مؤلفاته كثيراً من القضايا التى تعتبر من مقدمات المعجم العربى ، والتى يعد البت فيها ضرورياً قبل اتباع منهجية خاصة فى المعجم ومن هذه القضايا :

(أ) قضية الترادف :

يرى الشدياق أن تفسير اللفظ بلفظ مرادف له قد يكون على حساب الدقة اللغوية لأن ما يسمى بالألفاظ المترادفة ليس متطابقاً فى الحقيقة : « على أنى لا أذهب إلى أن الألفاظ المترادفة هى بمعنى واحد ، ولا لسموها المتساوية ، وإنما هى مترادفة بمعنى أن بعضها قد يقوم مقام بعض (الساق ص ١٠) . وأعطى الشدياق أمثلة لعدم التطابق منها مقارنته بين كلمتى جلس وقعد (ومشتقاتهما) فى السياقات المختلفة ، وذلك فى قوله : « وعندى أن أصل معنى الجلوس : الحصول على جلس من الأرض ، وهو يقضى بأن يكون من سفل إلى علو ، ثم عمم . والجلوس غير القعود ، فإن الجلوس : الانتقال من سفل إلى علو ، والقعود : الانتقال من علو إلى سفل . وقد يكون جلس بمعنى قعد كما نقول : (جلس متربعاً) ، و (قعد متربعاً) ، وقد يفارقه ومنه (جلس بين شُعَبها) أى حصل وتمكن ، إذ لا يسمى هذا قعوداً ويقال (جلس متكئاً) ولا يقال : (قعد متكئا) . . . والمجلس : موضع الجلوس وقد يطلق على أهله مجازًا تسمية للحالّ باسم المحل ، يقال : (اتفق المجلس) ... ويقال لمن أصيب برجله : مُقْعَد ، ويقال كذلك : مَقْعد صدق . . » (سر الليال ٥٥٨) .

ويحدر الشدياق من مزلق آخر يقع فيه اللعويون وهو تعريفهم لفظة بلفظة أُخرى من دون ذكر الفرق بينهما بالنظر إلى تعديتهما بحرف الجر كقول الجوهرى مثلا : « الوحل . الخوف ». مع أن «وجل » يتعدى بمن ، «وخاف» يتعدى بنفسه . وكقول المصنف (الفيروزابادى) · « العتب .الموجدة والملامة » ، «ولام » يتعدى بنفسه ، و « عتب » و « وجد » يتعديان بعلى (الجاسوس ص ١٢) .

(ب) التوسع فى النحت :

دعا الشدياق إلى استعمال النحت لصوغ ألفاظ تسد مسد الألفاظ الأعجمية التى يشيع استعمالها ، ولتنمية الثروة اللغوية ، يقول الشدياق «وكيفما كان فإن النحت طريقة حسنة تكثر بها مواد اللغة وتتسع أساليبها ، ولها نظير فى اللغة اليونانية وسائر اللغات الإفرنجية ، وهى التى كثرّت مواد لغاتهم وأحوجتها إلى الأخذ منها » (كنز الرغائب ١ / ٢٠٤) .

ويأتى فى موضع آخر على ذكر النحت ، ويورد آراء اللغويين فيه ويدعو إلى استعماله ويورد أمثلة مما عثرعليه من المنحوت (السابق ٥ /٣، ٤) . وهو يعسر بعض الألفاظ الرباعية عن طريق النحت فيقول : « جاء الحنتر بالفتح مثل البُحتر ، أى القصير . وعدى أنها منحوته من الحت والبتر ، والحنترة ضؤولة الجسم وقلته » (سر الليال ص ٤١) . وهو ينعى على العرب إهمالهم لغتهم واستخدامهم لغات العجم بحجة مرونتها وسهولة التعبير بها ، ويرى النحت إحدى وسائل العربية لتنمية مفرداتها :

« العرب ... لم يقدروا لغتهم حق قدرها ولا عرفوا أنها الفاضلة . . ألا ترى أنهم عدلوا عنها إلى لغات العجم فاتخذوا من هذه ألفاظاً وهى فى لغتهم أفصح وأحكم وأعذب منطقاً وأبهى رونقاً . . . وحتى لو فرضنا أن تلك الألفاظ لم توجد فيها فكان لهم مندوحة عنها إلى النحت الذى هو من بعض مبانيها » (السابق ص ٣)

(ج) التثبت قبل ادعاء التعريب .

ينصح الشدياق بضرورة التحفظ والتثبت قبل الحكم على كلمة ما بأنها معربة ، فقد يتصادف اللفظ العربى مع اللفظ الأعجمى كما فى كلمة « بعل » التى جاءت عربية

معنى الزوج ، والمالك . واليد ، والثقل ، وكل ماسبقته السماء مطابقة كلمة « بَعْل » اسم صنم كان لقوم إلياس . وهو فى العبرانية اسم مرادف لقولنا : الصنم (سر الليال ص ٦٨) .

وهو لهذا يعجب من بعض المعجميين الذين يسارعون إلى القول بعجمة الكلمة دون سند لغوى . يقول « ومن أعرب ما تحمل له (الميرورايادى) انتصاراً للعجمية قوله فى شرر الشرر الغلظ والقطع والشدة والصعوبة والشديد والقوه إلى أن قال والمشرر كمعظم المتمدود بعضه إلى بعض المضموم طرفاه . مشتق من الشيرازة أعجمية آه لأنه إذا كان التركيب يدل على القوة والشدة فأى حاجة إلى اشتقاق المتسرّر من الشيرازة ؟ قال بن السراج مما ينبغى أن يحذر كل الحذر أن يشتق فى لغة العرب شىء من لغة العجم فيكون كمن ادعى أن الطير ولد الحوت كما فى المرهر » (الجاسوس ص ٣١١) ويقول « من الغريب ماقاله الجوهرى إن الحُبّ بالضمة . الخابية ؛ فارسى معرب ، مع أن ذكر الماء والطل ونحوهما قد جرى فى هذه المادة غير مرة بل هو من عين معنى الحُبّ ، أعنى المحبة » (سر الليال ص ٣٩) .

ويختار الشدياق عربية كلمات مثل « البحت » و « البريد » و « الإبريز » مرجعاً إياها إلى أصول عربيه فالبحت إما أن يكون من معنى « بحح » ، أو مأخوذة من « البُحْت » وهى الإبل الحراسانية ، والبَحَّات مقتنيها ، والبَحيت والمبحوث المحدود أما لفظ البريد فقد قال عنه « البريد يطلق على مسافة فرسخين أو اثنى عشر ميلا ومع وضوح اشتقاق لفظ البريد فإن أئمة اللغة ذهبوا بها كل مذهب . قال أنس الأشر فى النهاية البريد فارسيه أصلها البغل . وأصلها بريده دم ، أى مجدوف الذنب . لأن بغال البريد كانت مقطوعه الذنب وأقول أهل العربيه كسوا هذه اللغة الشريفة ثوبا عربيا لائق بها فتراهم أبدا يجومون حول اللغات الأجنبية ويقيسون إليها ماهو فى العربية من خصائصها ومزاياها السنية وفى المصباح البريد الرسول . ثم استعمل فى المسافه التى يقطعها .

ويقال لدابة السريد سريد أيضاً فهو مستعار من المستعار فأنت ترى أن المصباح جعل السريد بمعنى الرسول أصلا وهو الحق » (السابق ص ١٤١) وقال عن كلمة إدرير : « ذهب إدرير : حالص وفى المصباح أنه معرب ، وعندى أنه عربى من معنى الطهور » (السابق ص ١٤٣)

وبهذا نرى أن الشدياق فى إثباته لعربية الكلمات لم يلجأ إلى الحدس والتخمين ، ولم يستعن بالشبه الظاهرى ، وإنما اعتمد على تشابه المعنى داخل المادة ، وإلى خصائص الحروف والأصوات وهناك دليل آخر اعتمد عليه الشدياق فى إثبات عروبة الكلمة ، وهى أن تكون اسماً لشىء معروف عند العرب « نعم إنى لا أنكر أن يكون قد دخل فى لغة العرب بعض ألفاظ من لغة العجم وهى أسماء لأشياء لم تكن معروفة عند العرب كالقسطة الإسفنبرف مثلا إلا أنَّ ما كان بخلاف ذلك لا ينبغى أن يحمل عليه ، فلا يصح أن يقال إن الدِّجام معرّب لأن العرب عرفت الخيل وما يارم لها قبل جميع الأمم . ومن هذا القبيل الكنز والخوان . . » .

(كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ١ / ١٩٠) .

(د) قبول المولد :

يرى الشدياق أن اللغة بنت الحياة ، ويعتقد أنه من غير المعقول أن تكون اللغة قد نشأت دفعة واحده ، وإنما عن طريق النمو والتطور « اللغة كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شىء منها تاماً كاملا من أول وهلة ولكن على التدريج » (سر الليال ص ٢٥) . وهو من أجل هذا يرى أن باب الوضع مفتوح أمام المولدين لأنه « يراعى به اللزوم والضرورة ويهذب اللغة عن أن تُشان بالألفاظ العجمية » ، « ولأن العرب إذا كانوا قد قالوا كذا وكذا فقد سماع لنا أن نقول أكثر من ذلك مما تمس الحاجة إليه ، فهم رجال ونحن رجال » (كنز الرغائب فى منتخبات الجوائب ١ / ٢٠٥) .

وقد أعان رأيه هذا بوضوح فى خاتمة كتابه « الجاسوس على القاموس » ، وقدم له العديد من الأدلة والبراهين ، وألح

عليه فى كتاباته فى « الحوائث » . يقول التديان

«ولو أن العرب الأوليس شاهدوا السواحر وسكك الحديد وآسلاك التلغراف والعار والسوسطة وبحر دلك مما اخترعه الإفرنج لوضعوا له أسماء خاصه باصه. فهم على هدا غير ملومين . وإنما اللوم علينا حالة كوننا قدورتنا لغتهم وشاهدنا هده الأمور بأعيننا ولم نتسه لوضع أسماء لها على السنق الدى ألفته العرب . أفسطن أحد أن لفظة المتسر والسعسر والوالى والمتصرّف والمدير ومجلس الشورى لا يسعى أن تعد من الألفاظ العربية لأنها لم تكن معروفه للدولة العباسية وإدا برّأ أحد تلك الدوله لعدم اتحادها هده الألفاظ إد الحاجة لم تمس إليها لم يكن له أن يلوم دولة أخرى على اتحادها مع وجود الحاجة ، فمس عليها غيرها »

(السابق والصحة)

ومن الأدلة التى ساقها الشدياق على قبول مانقل من ألفاظ عن المولدين من الكتاب والشعراء ماداموا متصلعين فى العربية ما يأتى

١ – أن المولدين راعوا حتى اللغة والتزموا قواعدها أكثر من العرب فى الجاهلية لأنهم اعتقدوا أن اللغة وسيلة إلى فهم التنزيل والحديث الشريف فبالغوا فى ضبطها ما أمكن وهدا الأمر لم يكن يخطر ببال العرب قط .

٢ – أنه لا يمكن أن يخطر ببال عاقل منصف أن الشاعر البليغ من هذه الطبقة يخترع ألفاظاً ليس لها أصل فى العربية . وهو بين ظهرانى علماء يستقدون على الطائر طيرانه . وعلى البعير وحدانه .

٣ – أنه لو كان أحد من المولدين ألف كتاباً فى اللغة لقبل لا محالة وليس من الإنصاف أن تقبل روايته فى اللغة ويرد كلامه فى الشعر (الجاسوس ص ٥٢٠) .

(هـ) قبول كل ما يمكن تصحيحه

بدا الشدياق فى كل كتاباته متوسعاً فى قبول كل ما تناقلته كتب اللغة ما دام قد صح نقله أو وجد له وجه فى العربية يخرّج عليه ولهذا كان دائماً ينضم للرأى المجيز ، ويجمع الشواهد لدعمه وتأييده ، ومن ذلك :

١ ـ أنكر صاحب الكليات لفظ « المحسوسات » بناء على أن الفعل عنده رباعى فيلزم أن تكون المُحَسّات قال أما حس الثلاثى وإنه جاء لمعان ثلاثة حسه قتله ، أو مسحه ، أو ألقى عليه الحجارة المحماة

وقد رد عليه البديوى قائلا « إن حسّ الثلاثى ورد بمعنى أحس متعديا بنفسه . صرح به الصغانى فى العباب ومنه الحديث أن أعرابيا جاء إلى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال له . متى حَسَسْت أُمَّ ملدم ؟ قال وأى شىء أمّ ملدم ؟ قال الحمى سحبه تكون بين الجلد واللحم فينكمش المحسوس مع سهريه على الألسنة والطروس تأباه النفوس » (الجاسوس ص ٥٨) .

٢ ـ قال الفيروز ابادى « والسائر الباقى لا كما توَهَّم جماعات » . وقال الصغانى . « سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما توهم من مصر فى العربيه باعه وضاهت فى اختيار الغرائب رباعه » . وقال السواوى فى تهذيب الأسماء واللغات « أنكر الشيخ تقى الدين استعمال لفظ سائر بمعنى لجميع فقال هو مردود عند أهل اللغة معدود فى غلط العوام وأكثر الفقهاء من الخاصة »

وقد ذكر البديوى من الأدلة على صحة الاستعمال . فقد قال الجوهرى سائر الناس . جميعهم . وقد ورد فى شعر الأخوص وفى كلام العوالى . وذكره أبو منصور الجواليقى فى أول كتابه «شرح أدب الكاتب » واستشهد على ذلك وإذا اتفق هذان الإمامان على لغتها فهى لغة وبعضهم من كلام الجماحى أيضا أن أبا على ومن تبعه أجازوا استعمال السائر بمعنى الجميع فكيف قال الصغانى كما توهم من قصر باعه فى العربية ؟ (السابق ص ٢١٤ ، ٢١٥)

٣ ـ قال البديوى : المحاذرة . المزارعة على بعض مايخرج من الأرض وهو من حذر الأرض إذا شقتها للزراعة أو المحاذرة التى يعملها العامة وهى المتشاركة فى الإجبار والظاهر أنها مولدة . ولكنها ليست بعيدة عن منهاج العربية (سر الليال ص ٥١) .

٤ ـ قال الشدياق . « باعه بيعه بيعاً ، فهو بائع ، وأبعته بالألف لغة . قاله ابن القطاع » (السابق ص ٦٤) .

٥ ـ قال الشدياق : « برّانى صحيح . قال فى الدر المصون قول سلمان الفارسى ، لكل امرىء حوانى وبرانى ، أى . باطن وظاهر » . (السابق ص ١٣٧)

٦ ـ أنكر الحريرى استعمال « بين » مكرره فى نحو قولك « المال بين زيد وبين عمرو » . قال الشدياق « وهو كثير فى كلام العرب » وساق له شاهدًا من قول الأعشى :

بين الأشجّ وبين قيس باذخ

وقول عدى بن زيد :

بين النّهار وبين الليل قد فصلا

(السابق ص ٢٦٠) وغير ذلك كثير

(و) توهم الأصالة أو الزيادة وتغيير بناء الكلمة تبعاً لذلك

يقوم ترتيب الكلمات فى المعجم العربى على أساس الجذور ، ووضع الكلمات تحت أصولها بعد تجريدها من الزوائد . ولكن هناك كلمات كثيرة توهم العرب فيها زيادة الحرف الأصلى أو أصالة الحرف الزائد وصرفوها بناء على هذا التوهم مما غير بناءها ونقلها من وزن إلى وزن آخر . ومثل هذا النوع من الكلمات يحب التنبيه فى صيغته المتوهمة على أصله ومن الأمثلة التى ذكرها الشدياق على ذلك ما يأتى :

١ ـ المكان . الموضع والجمع أمكنة وأماكن ، توهموا الميم أصلا ، حتى قالوا . تمكن فى المكان ، وهذا كما قالوا فى تكسير المسيل أمساله (الجاسوس ص ٣٢ ، ٣٣)

٢ ـ أستوا أى أصابتهم سنة جدب فإنهم توهموا أن السَّنَة يوقف عليها بالتاء (السابق ص ١٣٥) .

٣ ـ بعد أن ذكر أن الأوجه أن يكون وزن « أوّل » على « فَوْعل » بين علة منعه من الصرف وهى « شدة مشابهته لأفعل التفضيل لأنه مبدوء بالهمزة » . وبعد أن ذكر أن وزن « أشياء » . « أفعال » ذكر أنها منعت من الصرف تشبيها لها بفعلاء وعقب على ذلك بقوله « وقد يشتبه الشىء بالشىء فيعطى حكمه » . (السابق ص ٣٧٣) .

٤ ـ ذكر أن « المَرْهم » مأخوذ من « رَهَمَ » وأن العرب اشتقوا من الاسم « مرهم الجرح » على توهم أصالة الميم كقولهم « تمكحل » و « تمدهب » و « مردسه » أى رماه بحجر ، وهو من المرداس لآلة الرمى وقالوا أيضاً مرحبك الله (السابق ص ٣٩٥)

وقالوا كذلك « تمسكن » من « سكن » و « تمندل » أى تمسح بالمنديل و « مَحْرَقَ على الناس » أى كَدَدَ ومرّه وكما أنهم استعملوا هذه الأفعال على توهم أصالة أوائل الحروف ، كذلك استعملوا غيرها على توهم أصالة الأواخر مثل « برهن » و « تسلطن » (سر الليال ص ٢١) .

(ز) مشكلات جمع التكسير .

اعتبر الشذياق جمع التكسير من صعوبات اللغة العربيه لما يأتى

١ ـ أنه أكثر من أن يحصر وربما كان للاسم الواحد عده جموع كالناقة والعبد مما يقضى بالعناء والجهد (سر الليال ص٣) .

٢ ـ أنَّ الجمع قد يختلف باختلاف معنى المفرد فكلمة « حاجب » بمعنى بواب تجمع على حُجّاب وحَجَبَة . وكلمة حاجب للعظم فوق العين تجمع على حواجب (السابق ص ٤٢١)

كذلك يفترق معنى « عِبَاد » عن معنى « عَبيد » مع أن مفردها « عبد » فالعباد مختص بالله تعالى . فيقال « عباد الله » والعبيد مختص بالناس فيقال « عبيد فلان » (الجاسوس ص ٢٠٥)

٣ ـ أنَّ من جموع التكسير ما ليس جمعاً لمفرد . بل جمعاً لجمع فالسحاب الغيم مفرده سحابة وجمعه سُحُب أما جمع السحابة فسحائب والبيضه واحدة البيض . والبيض يجمع على بيوض (السابق ص ٢٠٦) .

٤ ـ أنَّ من جموع التكسير ما لا مفرد له مثل التحاويد والتعاتيب والتعاجيب والتباشير (السابق ص ٢٠٧) .

٥ ـ أنَّ من جموع التكسير ـ مع اشتهاره ـ غير قياسى مثل جمع حاجة على « حوائج » (السابق ص ٢٢٨) .

(ح ١) شيوع التصحيف فى مرويات اللغويين :

لاحظ القدماء شيوع التصحيف فى المعاجم العربية وعزوا ذلك إلى ثلاثة أسباب . اثنان منها يعودان إلى طبيعة الحرف العربى . والثالث يعود إلى عفاء المعجمى . وهذه الأسباب هى

١ - أن كثيرًا من الكتابات القديمة وصلتنا بدون نقط أو شكل . لأن التصحيف لم يخطر لهم على بال . أو كأنهم كانوا آمنين أن يطرأ على كلامهم تحريف أو غلط . فلذا كادت تخلو كتاباتهم القديمة إلا على هذا النمط . ومن هنا كثر الخلاف فى الروايات واتسع المجال فى التأويل ما بين سهو وإسقاط واحتمال وإثبات » (الحاسوس ٣) كما أنه يَرُدُّ كثيرا من أمثلة التصحيف فيما يظهر الليث إلى هذا السبب فيقول « ولا يخفى أن الكتابة فى عهده لم تكن مضبوطة . وحتى فى وضع النقط فأيسر شىء تبديل الفاء بالقاف والقاف بالفاء »
(السابق ص ٤١٤)

٢ - أن حروف الهجاء العربية متشابهة فى الرسم « كأنها نفوس أريد بها الريبة لما ترقم ، كما تزين النقش الدرهم » (السابق ص ٥) . فلا عجب « أن يلتبس على قارئها وإن كان من أحذق الحلق .. فيقرأ المهمل منها معجما . والمعجم مهملا »
(السابق ص ٣ . ٤)

٣ - أن اللغوى حين صادفته روايتان تحتملان التصحيف لتشابههما فى الرسم لم يكن يجوز له أن يتهمها أو يتهم أحداهما إلا بعد تحقق وتثبت يقوم على الأسس الدلائل الآتية

(ا) الاحتكام إلى القوانين الصوتية « فإن التصحيف إنما يكون من الحروف التى تكون من مخرج واحد مثل السين والصاد . والتاء والطاء فأما الراء والزاى فإن جاء لغط فيهما بمعنى واحد فمرجعه إلى التصحيف . مثال ذلك قول المصنف . الشعرية اعتمال المصارع رحاه برحل آخر وصرعه إياه كالشغرية وإنما حملته على التصحيف لأن اللغطة الأولى جاءت مقتضبة من دون فعل وقوله اخترع العود . كسره . وهو تصحيف اخترع ، إذ ليس

فى مادة جرع مايدل على الكسر . ولم يحك هذا الحرف أحد غيره من أئمة اللغة (السابق ص ١٨٦ . ١٨٧)

(ب) الاحتكام إلى معنى كل مادة وترجيح إحدى الروايتين تبعاً لذلك . وآكتفى بضرب المثالين الآتيين

* قال الفيروزابادى فى قاء « وتفيأت تعرضت لبعلها وألقت نفسها عليه » وقد تشكك التشياق فى صحة هذه الكلمة وانتهى بعد مقارنة معنى كل من المادتين قاء وفاء إلى وقوع التصحيف فيها . ولبدع التشياق يعبر بكلماته « قد طالما أنكرت هذا الفعل المنكر ،واستوحشت منه ، إذا ليس من مناسبة بين التيء والدلال . فهو مخالف لحكمة الواضع حتى راجعت لسان العرب فوجدت فيه فى (فاء) ما نصه : تفيأت المرأة لزوجها تثنت عليه وتكسرت له تدللا وألقت نفسها عليه من الوءء وهو الرجوع . فسررت بذلك سرور من تنفيأ عليه امرأته ولكن لم اقتنع بقول صاحب اللسان من الوءء ، وهو الرجوع ، فالأولى عندى أن يجعل من قولهم فيّأت المرأة شعرها إذا حركته من الحياء . والريح تُفَيِّء الورق والشجر أى تحركها ثم طالعت الأساس فوجدت فيه ما نصه وفيأت المرأة شعرها حركته حياء . وتفيأت لزوجها تكسرت له وتميلت عجبا ولعصف ذكر فيأت المرأة شعرها فى (وسعه) لا فى مادتها . فكأنه رأى السعاهة بها أولى مع عدم تحرجه من القيء » (السابق ص ٤١٠ . ٤١١)

* ذكر الفيروزابادى فى مرد والمرداء الرملة لا تنبت . والمرأد لا ست لها » وقد عقب التشياق قائلا « وهو تصحيف . والذى فى اللسان والتكملة وامرأة مرداء لا اسب لها بالبـاء الموحده . وهى شعرتها ا هـ . قلت . قد وقع المصنف مرة أخرى فى هذا المضيق وهو فى مادة (مرد) غير معذور فإنها تدل على الحلو من الشعر وتسهه حتى قالوا إن المرداء للشجرة التى لا ورق عليها مخارعن المرأة التى لا اسب لها فكيف لم يفطن لذلك ؟ » (السابق ص ٤٤٠ . ٤٤١) .

ويعقب التشياق على مثل هذا النوع من التصحيف قائلا « ظهر لى بعد التروى

أن كثيراً من الألفاظ تصحف على أهل اللغه من دون أن يشعروا بما قمرت عليهم مراراً ولكن بدون تعارف وما ذلك إلّا لأنهم لم يهتموا فى الكلام التآلف » (السابق ص ١٨٤)

(ح) الاستيثاق من المصادر المحتامه والرجوع إلى أمهات كتب اللغة المطبوع منها والمخطوط ، ومن أمثله ذلك

* رجوعه إلى اللسان والتكمله لإثبات التصحيف فى عباره « امرأه لا اسب لها » ورجوعه كذلك إلى مخطوطات أساس البلاغه للزمخشرى لإثبات أن مانسب إلى الزمخشرى غير صحيح : «فقد رأيت هذه الكلمة بالباء فى ثلاث نسخ من الأساس إحداها فى مكتبة المرحوم أسعد أفندى ، والثانية فى مكتبة المرحوم عاشر أفندى وهما قديمتان صحيحتان ، والثالثة فى مكتبة المرحوم محمد باشا الكوبريلى ، فالزمخشرى برىء مما نسب إليه » (السابق ص ٤٤٠ ، ٤٤١)

* إثباته تصحيف الحُتُد إلى حُسُد بالرجوع إلى لسان العرب والصحاح والمحكم (السابق ص ١٨٥) .

* إثباته تصحيف احتزع إلى اجترع بأنه « ليس فى ماده حرع ما يدل على الكسر » ، وبأنه « لم يَحْكِ هذا الحرف أحد غيره من أئمة اللغه » (السابق ص ١٨٧) .

* رجوعه إلى الصحاح والعباب والأساس والمصباح والتهذيب واللسان وتاج العروس لإثبات التصحيف فى تقييد المرأه لزوجها . إلى جانب الاحتكام إلى المعنى (السابق ص ٤١٠ ، ٤١١ . وانظر كذلك سر اللسال ص ٤٦)

(ط) كيفيه كتابة الهمزه

يقترح التشياق - على سبيل التسهيل - كتابة الهمزه بصورة واحده وقد تعرض لمسألة الهمزه بشىء من التفصيل فى صفحه كامله من كتابة « الحاسوس على القاموس » . ومما جاء فيها

١ - أما رسمها فى الخط وإبدالها من حروف العلة فيكاد يكون علما مستقلا يحوج إلى زمن طويل فلو أنها رسمت فى الأصل بشكل مخصوص غير شكل الألف لاسترحنا من متشكلاتها ، فإنى أرى المؤلفين غير

متفقين على رسمها مع كثرة ماحملوا له من القواعد والضوابط حتى إن بعضهم جعل الشاذ منه قاعدة كالمطة مسئول ومشئوم مثلا فجرم نأنه لابد من كتبها بالياء مع أن الياء لامدخل لها هنا . فالأول أن تكتب بالواو مع بقاء واو معمول وكما رأيتها فى الخطوط القديمه ورأيت المرأة فى النسخة الناصرية التى قرئت على المصنف من دون ألف ، وبعضهم يكتب التوأم بألف قبلها همزة وبعضهم يكتبها من دون ألف » .

٢ ــ نقل الخلاف فى كتابة لفظ « مئة » وقول بعضهم إنها كتبت « مائة » بالألف حتى لا تشتبه بكلمة « منه » عقب بقوله . « فات قوله للفرق بينها وبين (منه) ، فهذا الفرق كان يسعى مراعاته أيضاً فى (فئة) فإنهـا تلتبس بـ (فيه) فى نحو قولك خرج من فيه بناء على ترك النقط وقد أطربنى جداً ماحكاه الشيخ نصر الهوريينى عن أبى حيان وهو قوله وكثيراً ما أكتب أنا مئة بلا ألف مثل كتابة فئة ، لأن زيادة الألف خارج عن الأقيسة » .

٣ ــ نقله عن أبى حيان قوله : «والذى أختاره كتابتها بالألف دون الياء ء وجه تحقيق الهمزة ، أو بالياء دون الألف على وجه تسهيلها . قال وقد رأيت بخط النحاة (مأة) بألف عليها همزة دون ياء . وقد حكى كتب الهمزة المفتوحة ألفاً إذا انكسر ما قبلها عن حذاق النحويين منهم الفراء . روى أنه كان يقول يجوز أن تكتب الهمزة ألفاً فى كل موضع » (الحاسوس ص ٣٧)

(ى) التجمعات الصوتية المؤتلفة وغير المؤتلفة

تحدث اللغويون القدماء ابتداء من الخليل بن أحمد عن التجمعات الصوتية التى تأتلف فى اللغة العربية مكونة كلمات وعن الأخرى التى لاتأتلف . ولا تدخل فى تشكيل الكلمات .سموا الأولى مستعملة والأخرى مهملة

وقد أشار التنديلق فى كتبه إلى نفس الفكرة . ولكنه زاد عليها فكرة جديدة وهى تقسيم التجمعات المؤتلفة إلى مستحبة وعقيمة حسب كثرة فروع المادة ومشتقاتها أو قلتها .

وإذا كان اللغويون القدماء قد تنبهوا لعدم الائتلاف إلى قرب المخرج فإنه يبدو

أن التداول لا يعتبر هذا السبب ولهذا عد من عائب اللغة العربية عدم وجود مواد مركبة من حروف خفيفة على اللسان . كالمطة ر س ت مثلا ، فإنها توجد أكثر اللغات ولا وجود لها فى العربية ، وإنما توجد مركبة من كلمتين كقولك رست السفينة . وقس عليه ج ر ت فلا تتألف إلا بقولك جَرَتْ ، وجُرْت أنا . (سر الليال ص ٥) .

أما إشاراته إلى المواد العقيمة فكثيرة منها :

١ – عَتّه فى الماء : عطّه ، ومتله عَسّه وعَمَتَه وهو من الأفعال العقيمة (سر الليال ٢٨٨) .

٢ – ثم ولى رَتَّ زَتَّ ، وهذا التركيب عقيم (السابق ٣٠٢)

٣ – تَحَّ العَجينُ تخُوخة حمض . ثم تاحت الإصبع فى الشىء ثم التحردوت ثم التخرور . ثم التحريص . ثم التحوم . وهذا دليل آخر على أنه متى كان المضاعف عقيماً كان ما بعده أيضاً كذلك » (السابق ص ٢٧٩)

٤ – تركيب سدأ عقيم (الجاسوس ص ٤٠٨) .

٢ ــ منهجه المعجمه :

على الرغم من أن السديانى لم يصرف همه إلى تأليف معجم عربى[1] ،فإن العمل المعجمى كان شغله الشاغل ،وعمله الدائب وقد جاء اهتمامه بالمعجم نتيجة معايشته اليوميه له سواء أثناء احترافه التدريس ، أو اشتغاله بالترجمة واطلاعه على بعض المعاجم فى اللغات التى يترجم منها أو ينقل إليها (اطرحلف الله . الشديانى ص ١١٠) .

ويعد كتاباه « الجاسوس على القاموس » ، و « سر الليال » من الأعمال المعجمية ، إذ خصص الأول لنقد القاموس المحيط وبيان أخطائه التى بلغت أربعة وعشرين خطأ ، وقدم له بدراسة عن التأليف المعجمى عند العرب ، وخصص الثانى لتحقيق فكرة راودته حول المادة المعجمية تقوم على رد الفروع إلى الأصول وتنسيق معانى المادة

---

(١) سبق فى ذكر مؤلفاته أنه ألف معجما ثلاثى اللغة (فارسى ، تركى ، عربى) .

بطريقة تكشف عن مآخذها وعلاقاتها ومناسباتها ، واتخذ الفعل المضاعف أساسا لهذا الترتيب

ومعظم آراء الشدياق عن المنهجية المعجمية تجدها فى مقدمه « الجاسوس » وفى ثنايا نقداته للقاموس ، كما أنه أشار إلى بعضها فى كتابه « سر الليال » ومن هذا وذاك يمكن أن نستخلص الأسس الآتية .

(١) ترتيب المادة اللغوية

ينتقد الشدياق ترتيب حروف المعجم « فإنه فصل بين الحروف الحلقية والمهموسة وغيرها . وأنكر من ذلك أنه أفصى الواو عن الهمزه . مع أن الواو كثيرا ما تقلب همزة لشدة ما بينهما من التآلف . كما فى التوكيد والتأكيد . والتوفيت والتأقيت . حتى قرر بعضهم أن كل واو كسرت أو ضمت فلك أن تقلبها همزة كما فى وحوه وأجوه . وغير ذلك مما لا يحصى . ولم نسمع قط أن الياء قلبت همزة مع أنها فى الترتيب تاليتها وأكثر من هذا وذاك أنهم جعلوا الياء آخر الحروف ونحن نرى الأطفال يسقطون بها وبالهمزة أول ما تفتح أفواههم للنطق . ولا يخفى أن معظم الأفعال المعتلة واردة من المهموز . وأن الهمزه كثيرا ما تقلب حرف علة (سر الليال ص ٢٢) ولكنه لم يمض إلى أن الترتيب الصوتى الذى اتبعه الخليل فى معجم العين يحقق القدر الأكبر من مطالبه . إذ يجمع الأصوات المتحدة المخارج معاً . ويضع الهمزة إلى جانب الواو والياء فكان حقه أن يتبنى فى منهجيته الترتيب الصوتى . وهو مايبدو أنه رفضه لصعوبته (الجاسوس ص ٢٣) ولذا فإنه حين جاء إلى الاختيار اختار الترتيب الهجائى الذى نقده وأخذ يوازن بين طريقتى الصحاح وأساس البلاغة ثم إختار طريقة الأساس . يقول الشدياق فى « سر الليال » بعد أن بين أن المضاعف هو الأصل وأن المعانى تدور على فاء الكلمة وعينها « وبذلك تعلم أن هذا النسق لم يجر على ألسنة العرب عفوا . وأن تدوين الكلام فى كتب اللغة على أواخر حروفه مفرّق لمعانى الألفاظ ومشتّت لمبانيها » (ص ٢٧) ويعيد نفس الفكرة فى كتابه « الجاسوس » فيقول : « لا جرم أن الترتيب الذى جرى عليه الصحاح واللسان والقاموس

مسهل المطلوب وخصوصاً جمع القوافى ؛ إلا أنه فاصل لتناسى معانيها ومُوار لأسرار وضعها ومبانيها » (ص ٢٦)

ثم يقول . « فالأَوْلى عندى ترتيب الأساس للزمخشرى والمصباح للفيومى أعنى مراعاة أوائل الألفاظ دون أواخرها » (ص ٢٦ ، ٢٧) ويرد على من فضل طريقة الصحاح قائلا : « وإن قيل إن هذا الترتيب (الترتيب على الأوائل) لا يعين الشاعر على جمع الألفاظ التى تأتى على روى واحد فالأولى ترتيب الصحاح قلت الخطب هين . فعلى اللغويين أن يسيسوا سرّ الوضع وعلى الشعراء أن يؤلفوا كتابا فى القوافى » (ص ٢٧) .

وإلى جانب اختيار الشدياق لترتيب مادة المعجم على الأوائل طبقاً للترتيب الهجائى المعروف عدم طريقة أخرى طبقها بمهارة فى كتابه « الساق على الساق » وهى طريقة المجالات أو الحقول المعجمية هذه الطريقة تقوم على تقسيم مادة اللغة إلى مفاهيم أو موضوعات يضم كل واحد منها الكلمات التى تندرج تحته مع بيان معنى كل لفظ وتوضيح علاقته بالكلمات الأخرى المصاحبة له فى نفس المجال . (انظر علم الدلالة للدكتور أحمد مختار ص ٧٩ وما بعدها)

وليس « الساق على الساق » معجما حتى نتوقع منه أن يستوعب كل المجالات المعجمية ، وإنما هو كتاب فى السيرة الذاتية تناول حياة مؤلفه حتى هدومه الآستانة فقط (يوسف نجم : أحمد فارس الشدياق ص ١٠٥) . ومع هذا نجد المؤلف فى المقدمة يغفل هذا العرض الأساسى ، ويشير إلى عرضين أولهما نص فى العمل المعجمى ، والآخر استطاع بثقافته اللغوية الخصبة أن يحوله إلى عمل شبه معجمى يقول الشدياق « جميع ما أودعته فى هذا الكتاب مبنى على أمرين : أحدهما إبراز غرائب اللغة ونوادرها . ويندرج تحت جنس الغريب نوع المترادف والمتجانس والقلب والإبدال وإيراد ألفاظ كثيرة متقاربة اللفظ والمعنى . والأمر الثانى ذكر محامد النساء ، ومذامّهن فمن هذه المحامد ترقى المرأة فى الدراية والمعارف ، وحركات النساء الشائقة ، وضروب محاسنهن المتنوعة التى لم يتصور منها شىء إلا وذكرته فى هذا الكتاب (الساق ص ٤ تنبيه) .

ولهذا لا تعدل عين القارىء للكتاب عن هذا العرض المعجمى الذى تغلغل فى ثنايا مادة الكتاب حتى طغى على هدفه الأساسى غير المعلن. وقد تنبه الدكتور محمد يوسف نجم إلى هذه الحقيقة فذكر أن من أهداف الكتاب إيراد الألفاظ المترادفة والمتجانسة التى رتبها حسب المواضيع (ص ٨٦)، وأن ما ورد منها يشكل مجموعات طريفة من موضوعات مختلفة تتعلق بالفرد والكون والمجتمع مثل ألفاظ الأصوات والعشق ، والمسك ، وأسماء آلات الحرب ، والنجوم ، والفرس ، والآنية ، والطعام ، والشراب وسواها (ص ١٠٤)

ويقول ناشر الكتاب فى مقدمته . « رأيته قد اشتمل على فوائد جزيلة من سرد ألفاظ كثيرة من المترادف والمتجانس . وخصوصاً لاشتماله على أخص ما يلزم معرفته من الآلات والأدوات ، واستيعابه لجميع أصناف المأكول والمشروب . والمشموم ، والملموس والمفروس والمركوب والحلى والجواهر مما لم يوجد فى كتاب غيره على هذا النمط » .

ولم يكتف الشدياق بعرض الألفاظ المترادفة فى أماكنها مصنفة حسب الموضوعات ، فاستدرك ما أغفله منها فى بابه « فى الجدول المبين للألفاظ المترادفة » (مقدمة الناشر) .

وهذه نماذج لكيفية تناوله لألفاظ المجالات . وهى فى معظم الأحيان تأتى عرضا أثناء الحديث عن أحد الموضوعات ومن ذلك .

١ — ما أتى عليه من أسماء الجواهر استطرادا بعد حديثه عن تفضيل النساء على الرجال ، مثل :

* القصب ماكان مستطيلا من الجوهر . والدر الرطب . والبرجد الرطب المرصع بالياقوت .

* الكبريت : الياقوت الأحمر ، والذهب .

* المرجان صغار اللؤلؤ .

* الجريدة : اللؤلؤة لم تثقب .

* المعيدة : المثمر يفصل بين اللؤلؤ والذهب . والجوهرة النفيسة . والدر

* الحُداذ . حجارة الذهب .

* التبر . الذهب والفضة أو قطعا قبل أن يصاغا .

* السَّبَراء . الذهب الخالص

« التِّبْر . قطع من الذهب تلقط من معدنه بلا إذابة . أو حجر يفصل بها السكر

« النُّضار . الجوهر الخالص من التبر .

« الجَزَع . الخرز اليمانى الصينى .

« اليَنَع : ضرب من العنبر .

« الصُّريف العصبة الخالصة .

« الخُدَاب الواو . أو هنات اتكال الواو من فمه . أو حجر أبيض تحاك العصبة

(ص ٢٩٠ وما بعدها)

٢ ـ ما ذكر من الثياب مثل :

* الحالبات : القميص ، وثوب واسع للمرأة .

* القَصَب ثياب ناعمة من كتان

« المُعرَّجة المخطَّطة فى الثواء .

* المُحَدَّدة المصبوغة بالزعفران .

* الدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

* السابرية : الثياب الرقيقة الجيدة .

* الصِّدار : ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر (ص ٣٠٧ وما بعدها) .

٣ ـ ما تناوله من ألفاظ الحب ودرجاته ، وسأنقله بنصه :

« ولا بأس المتزوجات بقراءة كتابى هذا وأمثاله لأنه كما أن من ألوان الطعام ما يباح للمتزوجين دون غيرهم فكذلك هى ألوان الكلام والظاهر أن اللغة العربية شَرَك الهوى إذ يوجد فيها من العبارات الشائقة المتصبِّية ما لا يوجد فى غيرها فمن قرأتْ مثلا فى نزهة المشارق لابن مالك أن مراتب العشق ثمانية أدناها الاستحسان ويبتدأ عن النظر والسماع ثم يقْوى بالتفكّر فيصير مودة وهى الميل المحسوب ، (أى المحسوبة) ثم يقوى فيصير محبة وهى ائتلاف الأرواح . ثم يقوى فيصير خلّة وهى تمكن المحبة فى القلب حتى تسفط بينهما السرائر . ثم يقوى فيصير هوى بحيث لا يخالطه تلوّن ولا يداخله تغير . ثم يقوى فيصير عشقاً وهو الإفراط فى المحبة حتى لا يخلو فكر العاشق عن المعشوق (أى المعشوقة) وأنه يقوى فيصير تتيُّما وفى هذه الحالة لا ترضى نفسه سوى صورة معشوقه (أى معشوقته) . ثم يقوى فيصير ولها وهو الخروج من الحد حتى لا يدرى ما يقول ولا أين يذهب وحينئذ تعجز الأطباء عن مداواته . قلت :

وإن من أنواعه أيضاً الصبابة وهى رقة الهوى والشوق والغرام وهو الحب المستأسر. والهُيام وهو الحسون من العشق . والحوى وهو الهوى الباطن . والشوق وهو نزاع النفس . والتَّوَقان وهو بمعناه . والوجد وهو ما يجده المحب من هوى المحبوب (أى المحبوبة) . والكَلَف وهو الولوع . والشَّعَف وهو إصابة الحُبّ الشَّغاف أى علاف القلب أو حجابه أو حَبَّته أو سُوَيداءه والسَّعَف وهو أن يعشى الحب شَعَفة القلب وهو رأسه عند معلَّق السياط منه والتَّسعُف وهو بمعناه . والتَّدْليه وهو ذهاب الفؤاد عشقاً — لم تتمالك أن تحس بهذه المراتب السنية كلها حالا بعد حال » (ص ٦٥) .

(ب) الترتيب الداخلى للماده :

أكثر ما ضايق الشدياق فى المعاجم العربية ، عياب النسق فى عرض مفردات اللغة تحت المادة الواحدة . فما دامت المعاجم العربية قد اختارت طريقة الجذور فى ترتيب الكلمات ، وكانت هذه الطريقة تقتضى سوق العديد من الفروع والاشتقاقات تحت المدخل الواحد ، فقد كان من المنطق أن تتقيد هذه المعاجم إلى طريقة لترتيب هذه الفروع . وهو ما لم يفعله .

وقد ألح الشدياق على هذه النقطة فى كتابيه « سر الليال » و « الجاسوس على القاموس » وبين الانعكاسات السلبية لهذه الفوضى على مستعمل المعجم واقترح الخروج من هذه الفوضى منهجا للترتيب الداخلى يقوم على أساسين هما اعتبار جانب اللفظ بتقديم المجرد على المزيد ، والثلاثى على الرباعى ، وجانب المعنى عن طريق البدء بالحسى قبل المعنوى ، والحقيقى قبل المجازى واستيفاء معانى الكلمة قبل الانتقال إلى كلمة أخرى .

وهذه هى آراؤه فى نصوص كلماته

١ — فيما يتعلق بالفوضى فى سرد الكلمات يقول الشدياق : إن من أعظم الحلل وأشهر الزلل فى كتب اللغة جميعها ، قديمها وحديثها ، ومطولها ومختصرها ، ومتونها وشروحها ، وتعليقاتها وحواشيها خلط الأفعال الثلاثية ، بالأفعال الرباعية والخماسية والسداسيه ، وخلط مشتقاتها . فربما رأيت فيها الفعل الخماسى والسداسى

مثل الثلاثى والرباعى ، أو رأيت أحد معانى
معنى فى أول مادته وباقى معانيه فى آخرها.
فهى مادة (عرص) التى هى فى القاموس
تكون لمواد المتفرقة وتشغل ذكر الجوهرى
المعارضة التى بمعنى المقابلة بعد المعارضة
التى بمعنى المحاسبة ثلاثة وثلاثين سطرا
وصاحب القاموس أورد (احتمل الصبية)
أى . تقادها فى أول المادة . ثم
(احتمل) أى اشترى الحميل للشىء
المحمول من بلد إلى بلد فى آخرها . وبينهما
أكثر من ثلاثين سطرا والشارح أورد
فى تاج العروس (احتلح) بمعنى تحرك بعد
احتلاح بمعنى بكح بمحو ستة وخمسين سطرا.
ولهذا أصبح مطالعى كتب اللغة ألا يقتصروا
على فهم اللفظ فى موضع واحد. بل لا بد
لهم أن يطالعوا المادة من أولها إلى
آخرها لا حرم أن هذا التحليط والتشويش
فى ذكر الألفاظ ليذهب بصبر المطالع
ويحرمه من العثور بالمطلوب فيعود حائرا
بائرا » كما ذكر أن من سلبيات هذه
الفوضى أنها تحوج الباحث إلى قراءة المادة
كلها فيعود نشاطه ملالا . وجده كلالا ،
وربما تصفح المادة كلها وأخطأه الغرض
بخلاف ما إذا كانت الأفعال مرتبة على ترتيب
الصرفيين فإنه ينظر أولا إلى الفعل الثلاثى
ومشتقاته فى أول المادة ، وإلى الخماسى
والسداسى ومشتقاتهما فى آخرها وإلى
الرباعى ومشتقاته فى وسطها ، لا يضيع
له بذلك وقت ولا يكل له عزم ، ولا يخيب
مسعى » (المحاسوس ص ١٠ ، ١١) .

واعتبر من هذا النوع كذلك عدم
بدء المادة بالفعل دائما : « ومن ذلك
أنهم يستدئون المادة باسم الفاعل أو المفعول
او الصفة المشبهة أو اسم المكان والآلة ،
عوضاً عن الابتداء بالفعل أو المصدر
كقول الجوهرى فى أول مادة جزر :
الجرور من الإبل يقع على الذكر والأنثى
ثم قال بعد أربعة عشر سطرا . وجررت
الجزور واجتررتها . إذا نحرتها وجالدتها
فالجَرور على هذا فعول بمعنى مفعول
فما معنى ذكره قبل الفعل ؟ (المحاسوس
ص ١٤) .

وقد رد الشدياق معظم ما فات
اللغويين من ألفاظ صحيحة فصيحة
إلى هذه الفوضى الداخلية فتراه يقول
عن صاحب القاموس : « إن المصنف

أهمل كثيرا من الألفاظ التى ذكرها الجوهرى مبسوطة مشروحة . وأغربه ما كان فى المواد القليلة الاشتقاق نحو (سهد) فإن المصنف أهمل فيها السهاد مع أن الجوهرى ابتدأ المادة به . وأعظم أسباب هذا الإهمال أنه لم ينسق ترتيب الأفعال ومشتقاتها على نسق الصرفيين فمن يخلط فى ترتيب الكلام على هذا المثال فلا بد وأن يفوته منه شىء » (الجاسوس ص ١٠٧ ، ١٠٨) .

٢ ـ أما بالنسبة لضرورة بدء المعانى بالحسى منها فإن الشدياق يقول :

* ابتدأ الفيروز ابادى مادة عبر بعبرت الرؤيا ، والجوهرى بالعبرة من الاعتبار ، والفيومى بعبرت النهر . وهو الصواب لأن احتياج العرب إلى قطع النهر والوادى أشد من احتياجهم إلى تفسير الأحلام (سر الليال ص٦١).

* « قد أجمعوا على أن المهذب للرجل الكامل مأخوذ من تهذيب الشجرة بناء على أن الأمور المعنوية أو العقلية مأخوذة من الأشياء الحسية ضرورة أن الحواس الطاهرة هى التى تبعث الحواس الباطنة على التفكير والتخيل وتقرير ذلك أن العقل مأخوذ من عقلت البعير ، والحِكْمة من حكَمة اللجام والذكاء لتوقد الذهن من ذكاء النار . وأصل معنى الإدراك من أدرك الرجل أحدا إذا لحقه . . . » (سر الليال ص ١١)

٣ ـ ويرى الشدياق كذلك ضرورة بدء المعانى الحسية بأبسطها فيقول :

« واعلم أنه متى ما اجتمع معنيان فى فعل من الأفعال الكثيرة الوقوع والاستعمال ينبغى تقديم الأبسط منها ، كما فى سبح مثلا ، فإنه يدل على العوم والحفر فنقول إن الحفر أول المعنيين لأنه أدنَى إلى الأحوال الطبيعية وألزم إلا أن كثرة الاستعمال غلبت المعنى الأول . وهذا الأمر قلما يعتبره أصحاب اللغة وخصوصاً صاحب القاموس ، فإنه يبدأ بمتفرعات معنى المادة ويترك الأصل إلى آخرها » (سر الليال ص ١٣) .

٤ ـ ومما يراه الشدياق ضروريا لتحقيق الترتيب الداخلى ذكر المعنى

الحقيقى قبل المعنى المجازى ، ولهذا اعتبر من خلل المعاجم العربية « تقديم المجاز على الحقيقة ، أو العدول عن تفسير الألفاظ بحسب أصل وضعها » ومثل لذلك بمادة « كتب » حيث بدأ « صاحب القاموس بقوله : كتبه كتبا وكتابا خطه ، ومثله صاحب المصباح والزمخشرى ، مع أن أصل الكَتْب فى اللغة للسقاء يقال . كتب السقاء أى خرزه بسيرين ، وهو من معنى الضم والجمع ومنه الكتيبة للجيش ثم نقل هذا المعنى إلى كتب الكتاب ، وحقيقة معناه ضم حرف إلى آخر » (الجاسوس ص ١١) .

ويطرح الشدياق اعتراضا قد يوجه إلى هذا المبدأ ويرد عليه قائلا « فإن قيل إن أئمة اللغة إنما يستدلون المادة باشرف ما فيها من المعانى ، قلت كان عليهم بعد القراع من المجاز إذا كان أشرف المعانى أن يقولوا مثلا وأصل هذا المعنى من قولهم كذا وكذا . لاجرم أن الابتداء بالأصل لا يخل بالترتيب فإن الجوهرى ابتدأ مادة (خلق) بخلق الأديم وهو تقديره قبل قطعه . وزاد الزمخشرى على أن جعل خلق الله الخليقة مجازا عنه » (الجاسوس ص ١١)

(ح) الربط بين المعانى الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها

يرى الشدياق أن من واجبات المعجمى أن يقوم فى كل مادة بالتماس المعنى العام أو المعانى العامة التى ترد إليها جميع المعانى الجزئية للمادة ، وهو ما يذكرنا بصنيع ابن فارس فى معجمه المقاييس بل قد حاول ما هو أكثر من هذا فى كتابه « سر الليال » ، حين قام بعملية الربط هذه بين المواد التى تختلف فى بعض حروفها وتتفق فى بعضها الآخر أو تختلف فى ترتيبها ، وهو ما يذكرنا من جهة بالاشتقاق الأكبر عند ابن جنى ، وما سماه بتصاقب الألفاظ لتصاقب المعنى من جهة اخرى (الخصائص ٢ / ١٣٣ ، ١٤٥) .

والأمثلة كثيرة على النوع الثانى ، ونكتفى منها بالمثالين الآتيين .

١ - يقول الشدياق : البحت الصرف ، والخالص من كل شىء

ومثله · المحت والحتم والمحص (سر الليال ص ٤٧) .

٢ ـ ويقول · « لا بد من التسليم بأن العرب تعمدت معنى من المعانى ثم سقت عليه الأفعال المتفقة حروف فائها وعينها سقاً متفنا فيه ، فتاره قصدت نسته إلى المعقول ، وتارة إلى المحسوس ، مثال دلك لفظة (كَسَّ) أى دق دقاً شديدا فقد صاعت مه لفطة (الكسيس) للخمر المكسور ، تم قالت (كسأَ) بمعنى ضرب ، و (كسْء) من الليل : قطعة منه ، فأَحرت معنى الكسر على شيء غير محسوس ، ثم قالت (كسب) فإذا تأملته وحدته لم ينقطع عن معنى الكسر أو القطع ثم قالوا (كسد) الشيء أى لم ينفق فصمنوه معنى القطع عن البيع ، تم قالوا (كسر) ومعناه ظاهر ، ثم (الكسط) بمعنى العار فبقيت مناسة الكسر فيه ، ثم (كسعه) بالسيف ورحل (مكسَّع) إذا لم يتروج ، فصمنوه معنى منقطع عن الرواح ، ثم (الكسفة) القطعة من الشيء . (وكسفت) الشمس والقمر . احتجبا فصمن معنى الانقطاع عن النور ، ثم (الكسل) فصمن معنى الانقطاع عن النشاط. وانظر أيضاً إلى عمّ وعمت وعمد وعمر وغمس وغمص وغمض وعمط وعمق وعمل وغمن وعمى فإنها كلها تدل على الستر والتغطية مع احتلاف المعانى »

(سر الليال ص ٢٧ ، وانظر ص ٤ ، ٥) .

أما النوع الأول الذى يقوم على ربط معانى المادة الواحدة بمعنى عام يجمعها ، فهو الذى يهمنا هنا ، وهو الذى ينبغى على المعاجم العربية أن تتفطن إليه ، وأمثلته فى كتبه المتعددة كثيرة ، ولذا سنقتصر على النماذج الآتية منه .

١ ـ تغليط الفيروزابادى فى اشتقاقه السُّرّية من السر للجماع ، وذهابه فى اشتقاقها إلى أنها من السُّر بمعنى السرور . (السابق ص ١١) .

٢ ـ اشتقاقه العمامة من عمَّ بمعنى شمل ، لأنها تعم الرأس (السابق ص٢١).

٣ ـ رده معنى « العبد » إلى عبد بمعنى عصب لأنه يغصب لمالكه (سر الليال ٥٨) .

٤ ـ قوله إن « حمو الرجل » و « حمو المرأة » مأخوذ من حمو الشمس وحقيقة معناه . من به من حمو للعيرة على المرأة . ومثله لفظ الصهر للقرابة ولزوج بنت الرجل وروح أخته فإن معناه فى الأصل من الحرارة (السابق ص ٥٨) .

٥ ـ ذكره أن للجبر معنيين أصليين هما صد الكسر ، والإجبار على الشىء ثم أطلق الجبر على الملك والشجاع ويصح أن يكونا من كلا المعنيين ، تم على الغلام لأن فيه جبرا لأبيه . ثم قيل من المعنى الأول : جبر العظم ، وجبر الفقير ، والمتجبر : الأسد ، والجبار . الله تعالى لتكبره ، والنخلة الطويلة الفتية ، والجبيرة . الخ (السابق ص ٩٩) .

٦ ـ رده معنى « الفىء » إلى الرجوع ، ومنه سمى الظل فيئا لرجوعه من جانب إلى جانب ، ومن معنى الرجوع أيضاً : الغنيمة والخراج ، وفى الحديث . الفىء على ذى الرحم ، أى العطف عليه والرجوع إليه بالبر (السابق ص ٢٦٣) .

٧ ـ رده معنى « السبت » إلى القطع ومنه حاء السبت بمعنى حلق الرأس ، وضرب العنق ، ويوم من أيام الأسبوع لانقطاع الأيام عنده ويوم الراحة لانقطاع الإنسان عن العمل (السابق ص ٢٦٤) .

(د) وضوح التعاريف وتعدد طرق التفسير :

يشترط الشدياق لصحة التعاريف شروطا ثلاثة هى

أولا : وضوحها ، وعدم إيقاعها فى لبس .

ثانياً : تعدد طرقها .

ثالثا : خلوها من الدور والتسلسل .

أما بالنسبة لوضوح التعاريف فقد ألح عليه فى كتبه وبخاصة فى « الجاسوس » (المقدمة ص ٣) ، وعد من عدم الوضوح إيراد ألفاظ فى التعريف لا ترد فى مظانها مع توقف المعنى عليها كقول الجوهرى فى ربح : ربح فى تجارته أى استشف ، ولم يذكر استشف فى بابها ، وقول ابن سيده فى بلد : البلد : كل قطعة مستحيزة من الأرض . ولم

يذكر استحاز فى حوز ولا فى حيز (الجاسوس ص ١٤ ، وانظر سر الليال ص ٢٦٠) . كما عد منه ذكر اللفظ دون تفسيره كقول الفيروزابادى فى بعر : « والبعـــار الشاة تباعر حالبها ، وككتاب الاسم » ، قال الشدياق : « ولم يفسره . وعبارة المحكم : باعرت الناقة والشاة إلى حالبها : أسرعت ، والاسم البعار » . (الجاسوس ص ٥٧) . وكقوله فى صيف : « صيفت الأرض كعنى فهى مصيفة ومصيوفة » قال الشد ياق : « ولم يفسره ، وعبارة الصحاح . صيفت الأرض فهى مصيفة ومصيوفة إذا أصابها مطر الصيف . وعبارة المحكم : الصيف . مطر الصيف ونباته ، وصيفت الأرض فهى مصيفة إذا أصابها الصيف» (السابق ص ٥٩) . وعد منه كذلك غموض عبارة الشرح كقول الفيروزابادى : « بخّس وتبخّس نقص ولم يبق إلا فى السلامى والعين » قال الشدياق : « وهى عبارة مبهمة والواضح ما قاله الجوهرى . بخّس المخُ تبخيساً : أى نقص ولم يبق إلا فى السلامى والعين ، وهو آخر ما يبقى » (سر الليال ص ٥٥) . ولهذا قسا على الفيروزابادى فى مقدمة جاسوسه لأنه فى نظره – يستدل عبارة المعاجم الفصيحة إلى عبارة عامصة مبهمة حشوها عجمة قبيحة ومن كان شأنه هكذا قلت به الثقة لأن تعريف الكلام العربى ينبغى أن يكون فصيحاً مبينا ، محكما رصينا ، وإلا مجه السمع ، ونبا عنه الطبع (الجاسوس ص ٥٤) . وفى مكان آخر يعقب على عبارة للفيروزابادى بعد نقدها – يعقب بقوله : « فإن كتب اللغة ليست ألعازا » (ص ٤٩)

وأما بالنسبة لتعدد طرق التفسير ، فقد ذكر منها المرادف ، والمضاد ووضع الكلمة فى سياقاتها المختلفة . وليس له طريقة محددة يفضلها على غيرها فتارة يقنع بالمرادف وتارة يفصل المضاد عليه كتفضيله تفسير الحبس بضد التخلية على تفسيره بالمنع (سر الليال ص ٤٢) كما أنه فى كثير من الأحيان يحذر من التعريف بالمرادف لعدم وجود التطابق التام فى اللغة . (انظر ما سبق

عن رأيه فى الترادف) ، ولأنه ربما تعددت معانى اللفظ المفسِّر فلا يُعلم المراد منه بالتحديد ، ولهذا فهو ينصح بالحذر فى استعماله .

والاقتباسات الآتية تكشف عن صعوبة التفسير بالمرادف فى نظر الشدياق :

١ ــ وصف الشدياق ابنة أحد الأمراء فقال : « كانت ذات طلعة بهية وشمائل مرضية تامة الظرف ، ناعسة الطرف » . ولكنه استدرك على وصف طرفها بالنعاس فقال : « ولكن ليس المراد من ذلك أنها كانت لا تبصر من يحبها كما يكون من به نعاس ، وإنما المعنى أنها دابلته » . ولكنه عاد فاستدرك قائلا : «حتى ولا هذه العبارة مفصحة عما أريد أن أقوله فإنها توهم أنها كانت ذابلة مع أنها كانت غضة بضة » ، وعقب بمقصوده من الكلمة قائلا . « بل المقصود أن أقول إنها كانت تنظر عن تحشيف » وعاد فاستدرك قائلا : « ولكن ماده حشف لا تعجبنى لأنها تدل على اليبوسة والخساسة والرداءة ، بل المراد أنها كانت تكسر جفنيها عن النظر » ، واستدرك للمرة الرابعة قائلا : « ولا الكسر أيضاً لائق بها ، ولا أدرى كيف ألحن للقارىء ما أردت . ولعل الأوفق أن يقال إنها كانت ترمى بسهام من عينيها ولم يكن صغر سنها مانعا من تتبيل من ينظرها » (السابق ص ٦٢) .

٢ ــ عد الشدياق من قصور المعاجم أنها حين تعرف لفظة بأخرى لا تهتم بذكر الفرق بينهما بالنظر إلى تعديتهما بحرف الجر كقول الجوهرى مثلا : الوجل : الخوف ، مع أن وجل يتعدى بمن وخاف يتعدى بنفسه وكقوله أيضاً الجنف : الميل . وهو يوهم أنه يقال جنف عنه وعليه وإليه كما يقال مال عنه وعليه وإليه . (الجاسوس ص ١٢) .

٣ ــ أخذ الشدياق على القاموس أنه يفسر الكلمة بكلمة أخرى لها معان مختلفة فلا يعلم المتعين منها ، كقوله : البغش : السواد ، وهو يطلق على اللون المعروف ، وعلى الشخص ، والمال الكثير ، وعلى الفرى ، والعدد الكثير ، وغير ذلك وقوله . البند .

العلم الكسير ، وهو يطلق على الجبل والراية وسيد القوم ، وغير ذلك (السابق ص ٢٠١) .

أما وضع الكلمة فى سياقاتها اللغويه المختافة فهو أفضل وسيلة عندالشدياق ، وهو بذلك يتفق مع أصحاب المدرسة السياقية الذين يرون أن معنى الكلمة هو تسييقها ، أو وضعها فى سياقاتها اللغوية المتعددة . والأمثلة كثيرة على حرص الشدياق على توضيح معنى الكلمة بذكر استعمالاتها المتنوعة والنص على مصاحباتها من الألفاظ ، نذكر منها :

١ ـ عرضه الفعل باع فى تعبيراته السياقية المتعددة ، فيقال · باع زيدا الدار ، وقد يقتصر على المفعول الثانى ، ويجوز الاقتصار على المفعول الأول عند أمن اللبس كقولك : بعت الأمير ، وقد تدخل « من » على المفعول الأول كقولك « بعت من زيد الدار » وربما دخلت اللام مكان « من » كقولك : بعتك الشيء ، وبعته لك (سر الليال ص ٦٤) .

٢ ـ ذكره لكلمات الألوان التى تأتى وصفاً للفظ الموت مثل :

* الموت الأحمر . وهو أن يتغير بصر الرجل من الهول فيرى الدنيا فى عينيه حمراء وسوداء .

* الموت الأغبر : وهو الموت جوعاً. لأنه يغبّر فى عينيه كل شيء .

* الموت الأ ود · وهو الموت فى غمة الماء

* الموت الأبيض : وهو موت العافية ، أو موت الفجاءة ، لأنه يأخذ الإنسان بياض لونه (السابق ص ٣٣٧) .

٣ ـ يمدح الشدياق الصحاح ويميزه على القاموس لحرصه على حماة أشياء منها «تعليم المركب من الكلام فضلا عن تعريف المفردات » . ويمثل لذلك بقوله . « ما كنت عَمًّا ، ولقد عممت عمومة ، وبينى وبين فلان عمومة ، كمايقال أبوّة وخؤولة ، وعُمِّم الرحل · سُود لأن العمائم تيجان العرب ، كما قيل فى العجم تُوّج » ، وقوله : «أية عولأغْول من الغضب » ، وقوله · « دعنى وعلىّ خطئى وصوبى ،

أى صوابى » ، وقوله · « الإسحاح : حسن العفو ، يقال ملكت فأسحح ، ويقال : إذا سألت فأسحح ، أى سهّل ألفاظك وارفق » .

ويفضل أساس البلاغة على جميع المعاجم لحرصه على عرض الألفاظ فى تراكيبها فيقول « وأشهر من تحرى تعليم المركبات مع السجع الزمخشرى فى أساس البلاغة ، فهذا الأساوب انتهى إليه » (الجاسوس ص ٨١) .

أما بالنسبة للشرط الثالث ، وهو خلو التعاريف من الدور والتسلسل ، فقدتساوله أكثرمن مرة فى كتابه «الجاسوس» واعتبر عدم التزامه من خلل القاموس يقول الشدياق فى مقدمة كتابه :

« ومن تعريفه الدورى والتسلسلى : باحة الدار : ساحتها ، ثم قال فى فصل السين . ساحة الدار باحتها .. ، تسنيم القبر · خلاف تسطيحه ، وفى سطح · تسطيح القبر : خلاف تسنيمه . ، تسور الحائط تسلقه : وفى سلق : تسلق الحائط تسوره » (ص ٨٦) .

ويقول فى نقده الرابع للقاموس : « فى روح : الروح ما به حياة الأنفس وقال فى تعريف النفس : إنها الروح ، فيكون حاصل المعنى : الروح : ما به حياة الأرواح فلو قال . الروح : مابه حياة الإنسان أو الجسد لسلم من العجمة » (ص ٢١٧) ويقول تعقيباً على قوله . « الضرس . السن » · وقال فى باب النون · السن : الضرس ، وهو تعريف دورى . والضرس غير السن ، وهو المتعارف بين الناس . (ص ٢٢٥) . كما خصص النقد الثالث عشر من نقـــوده لتعريفات الفيروزابادى الدورية والتسلسلية وضرب أمثلة كثيرة عليها (ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣)

(هـ) الوقوف عند اختصاص المعجم :

يرى الشدياق أن على المعجمى أن يقصر مادته على ألفاظ اللغة غير القياسية ، ولذلك اعتبر من قبيل التجاوز لوظيفة المعجم أن يهتم المعجمى بما يعد من المعلومات الموسوعية ، أو بما يعتبر من المشتقات القياسية ، أو بما يدخل

فى باب الفضول أو الاستطراد الذى لا فائدة فيه . وقد انصب كثير من نقده للقاموس على هذه النقطة التى اعتبرها من أقبح أنواع الحلل فيه .

وقد اعتبر من باب المعلومات الموسوعية التى يجب أن يتجرد منها المعجم « خواص الأشياء ومضارها ومنافعها مما حرص عليه صاحب القاموس كل الحرص ؛ فكل يعلم أن موضعها كتب الطب لا كتب اللغة » (سر الليال ص ٦٠٧ وانظر الجاسوس ص ٣١٧) . وكذلك المعلومات الجغرافية التى جعلت القاموس « عبارة عن كتاب فى الجغرافية » (الجاسوس ص ٣٢) وذكر الأعلام « كأسماء المحدّثين والفقهاء وغير ذلك مما لم تكن العرب تعرف له عيسا ولا أثرا ، حتى إن المصنف من شدة تهافته على ذكر الأعلام أهمل ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف فى مادة رحم أهمل الرحمن والرحيم واجتزأ عنهما بذكر محمد بن رحمويه . . ورحيم كزبير . . ومرحوم العطار » (السابق ص ٨٠ ، ٨١ وانظر ص ٣٠٥ – ٣٠٨) .

وقد اعتبر الشدياق تعرض الفيروزابادى إلى ماليس من اختصاصه السبب فى وقوعه فى الأخطاء والأوهام التى لا تكاد تقع تحت حصر : « إن حق اللغة اقتصّ من مصنفه فإنه ربكه فى أغلاط كثيرة فى ذكر تلك الأعلام التى فضلها على كلام العرب . حيث جعل الابن أبا ، والأب ابنا ، والرجل امرأة ، والمرأة رجلا ، والمدينة جبلا ، والجبل مدينة والغرب شرقاً ، والشرق غرباً » (السابق ص ٨١)

واعتبر الشدياق كذلك من باب الفصول واللغو ذكر ما يمكن الاستغناء عنه من المشتقات لقياسيته ، ولضرورة العلم به كإيراد الفعل المبنى للمجهول بعد الفعل المبنى للمعلوم ، وكذكر مصدر غير الثلاثى ، وكالنص على اسم المرة أو الهيئة أو الزمان أو المكان . ومن الأمثلة الكثيرة التى ذكرها نلتقط ما يأتى . .

١ – قال الجوهرى : حابيته البيع محاباة . ولو حذف المصدر وأتى

بلفظة تفسر الفعل لكان أولى لأن المصدر قياسى لا يلزم ذكره (سر الليال ص ٤٦).

٢ ـ أهل اللغة لا يستوفون من كل فعل ثلاثى مشتقاته ومزيداته ، إذ لم أر فى القاموس والصحاح : استسخله عده بخيلا ، ولا باخله : غالبه بالبخل ، ولا تباخل . كما تقول تمارض وتباله (السابق ص ٥٧)

٣ ـ إيراد الفعل المجهول بعد الفعل المعلوم لغو لأنه حيثما وجد المعلوم المتعدى وجد المجهول . نعم إذا ثبت أن العرب لم تنطق بفعل إلا مسنداً للمجهول فحينئذ يتعين ذكره (الجاسوس ص ٢٤١) .

٤ ـ عقد الشدياق فصلا سماه « فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة واللغو » ضمنه كثيرا من الصيغ القياسية التى لم يكن هناك داع لذكرها (الجاسوس ص ٣٠٣ وما بعدها).

أما ما يدخل فى باب الفضول والاستطراد ، ولا يعد من باب اللغة فى شىء ، ولذا لا يصح للمعجمى أن يذكره وقد استقى الشدياق أمتاته من القاموس الذى بلغ العاية فى ذلك حتى تجاوز كل حد ومن ذلك .

١ ـ قول الشدياق : لم يزد القاموس شيئاً على العباب والمحكم إلا ما كان من قبيل الخرافات ، التى لا يتلفت إليها التقات الأثبات ، وذلك كخرافة الفقعس واللوف والربعرى والرخ والجزائر الحالدات ، وغير دلك من المحالات (الجاسوس ص ٥٤) .

٢ ـ وقال الشدياق : ومما تصدى له من من الحكايات التى لا تعلق لها باللغة أصلا حكاية ثلاث بنات كن لهمام بن مره وكان أبى أن يزوجهن فأنشدت كل واحدة منهن بمسمعه بيتا ينبىء عن اغتلامها . وهى حكاية سخيفة تسو عنها كتب المحون . ذكر دلك فى قنف ومثله ماذكره فى رول (السابق ص ٣١١ وما بعدها)

٣ ـ ومن ذلك ذكره أسماء أصحاب الكهف (ص ٣٠٥) وأسماء جماعة من المحنثين (ص ٣٠٧)

٤ ـ وكذلك قول الفيروزابادى : « شحيثا كلمة سريانية تمتح بها الأغاليق وقد عقب الشدياق قائلا . « قال المحشى . أى مناسبة بين هذا وبين كلام العرب، ولغاتهم . على أنه لغو من الكلام وباطل فلا تفتح به الأغاليق ولا ينبغى ذكره من المصنف لو كان صحيحاً ولا يليق » (ص ٣٠٩) .

« وقد أوقع تعرض الفيروزابادى لما ليس من اللغة فى معجمه ـ أوقعه فى الوهم والتخليط مما فتح الباب أمام الشدياق ليخصص نقده الثانى والعشرين لأوهام الفيروزابادى فيما خرج عن اللغة ، وعد منه حديثه عن النسطورية والبطريق ، وشمعون الصفا ، والذبيح ، والسقالبة ، والإسكندر وغيرها ، وكشف عن خلطه فيها واتخذه مادة للسخرية (الجاسوس ص ٣٩٦ ـ ٤٠٣) .

(و) وضع اللفظ المشتبه أصله فى مظانه المختلفة :

هناك كلمات كثيرة فى اللغة العربية يشتبه أصلها ومعرفة جذرها على اللغوى المتخصص فضلا عن ابن اللغة العادى . وقد كان هذا النوع من الكلمات محل خلاف بين المعجميين ، ولذا اختلفت مواضعه فى المعاجم .

وكان رأى الشدياق وضع أمثال هذه الكلمات حسب احتمالاتها المختلفة فى مظانها المختلفة مع الربط بين هذه المظان ، واعتبر من الخطأ الاقتصار على احتمال واحد . ومن أمثلة ما رأى وضعه فى أكثر من موضع الكلمات الآتية :

١ ـ كلمة « أثفية » التى وضعها الفيروزابادى فى (أثف) و (ثفى) وله وجه . لأنه يقال : أثف القدر وآثفها وأثماها وثفاها وجاء من الأول . أثفه . تبعه وطرده وطلبه . وجاء من الثانى . ثفاه يثفيه ويثفوه . غير أن وزن الأثفية من أثف فعولة ، وجمعها على فعاليل ومن ثفى أفعولة وجمعها على أفاعيل (الجاسوس ص ٣٢) .

٢ ـ كلمة مكان التى أوردتها المعاجم فى (مكن) و (كون) ، وفسر ابن منظور وضعها فى المكانين بقوله : « المكان . الموضع والجمع أمكنة وأماكن

توهموا الميم أصلا . . » (كون) ، وقوله « وقيل الميم فى المكان أصل كأنه من التمكن دون الكون » (مكن) (السابق ص ٣٢ ، ٣٣) .

٣ ـ كلمة « ترجمان » التى أوددها اللسان فى (ترجم) و (رجم) على اعتبار أصالة التاء أو زيادتها (السابق ص ٢٩) .

واعتبر الشدياق من التعنت الاقتصار على احتمال واحد أو تخطئة من اختار الاحتمال الآخر ولهذا يقول عن كلمة كبريت ونحوها : « ذكر الكبريت فى باب التاء . . بناءً على أصالة التاء لقولهم : كبرت بعيره . إذا طلاه بالكبريت والجوهرى أورده فى (كبر) فعامله معاملة العفريت والمصنف تابعه على ذكر العفريت فى (عفر) . . مع أنه ذكر له فعلا وهو نعفرت . فكان ينبغى له أن يذكره فى التاء أيضاً وينبه على أن أصله (عفر). كما قال فى (رعش) : الرعشن فى النون وإن كانت النون زائدة ، لكنى ذكرتها على اللفظ وبينت الزيادة . ولكنه لم يبين زيادة النون فى الضيفن وهما من باب واحد » (السابق ص ٢٨٨ ، ٢٨٩) .

ويقول عن كلمة «توأم » التى وضعها الجوهرى فى فصل التاء : « ذكر (الفيروز ابادى) التوأم فى مادة على حدتها بقوله : التوأم من جميع الحيوان المولود مع غيره فى بطن ثم أعاده فى (وأم). إلى أن قال . ووهم الجوهرى فى ذكر التوأم فى فصل التاء فانظر كيف يخطىء الجوهرى وهو متابع له » (السابق ص ٣٩٣) .

ويقول عن كلمة «مرهم » التى وضعها الجوهرى فى (رهم) . « ذكر (الفيروزابادى) فى (رهم) المرهم · طلاء لين يطلى به الجرح . ثم قال فى تركيب (مرهم) : المرهم دواء مركب للجراحات ، وذكر الجوهرى له فى رهم وهم والميم أصلية لقولهم مرهمت الجرح . قلت · قوله · « لقولهم مرهمت الجرح قد يقال إن ذلك على توهم أن الميم أصلية وهو من أساليبهم كقولهم تمكحل وتمذهب » . (السابق ص ٣٩٤ ـ ٣٩٥) .

ويرى الشدياق أن ضرورة وضع الكلمة في مظانها المختلفة لايستلزم التكلف في التحليل ، ولهـذا فهو ينتقد من وضع كلمة « استكان » في « سكن » ويرى أنها من الأجوف وأن مكانها (كين) يقول الشدياق : « ذكر استكان بمعنى ذل وخضع في (سكن) ، افتعل من المسكنة أشبعت حركة عينه مع أنه ذكر كان يكين بمعنى ذل وخضع فالأوجه أن يكون استكان : استفعل منه . والإشباع إنما يرتكب لضرورة الشعر . والبيضاوى جعل اشتقاق استكانوا من (سكن) أصله استكن ، أو من استكون من الكون لأنه يطلب من نفسه أن تكون لمن تخضع له . وفيه من التكلف مالا يخفى . والراغب ذكرها في كان الواوى » (السابق ص ٢٩١) .

ويرى الشدياق أنه في حالة تعدد المظان يجب على المعجمى الربط بين المظان المختلفة والإشارة إلى كل منها في الموضع الآخر ، ولذلك عقد فصلا في كتابه « الجاسوس » بعنوان : « النقد الحادى والعشرون : فيما ذكره في موضعين غير منبه عليه ، وربما اختلفت روايته فيه » ، ذكر فيه كلمات مثل : أول ، واست ، وآنق ، وذرية ، والبذىء ، ودكان ، وبستان ، وربّان ، واللات ، وهات ، ولِدة ، وحاش (لله) وغيرها (ص ٣٧٢ ومابعدها) .

ويحدد الشدياق أصولا معينة يكثر الخلط فيها ، وهى المشتملة على علة يصعب ردها إلى الواو أو الياء مثل جبى / جبا مما يؤدى كثيرا إلى الخلط بين الواوى واليائى (وانظر : أبى ، وذرى ، وروح ، ورنا ، وشكا) .

وكذلك يكثر الخلط بين المعتل والمهموز مثل ذرية التى يشتبه وضعها فى ذرأ أو ذرى ، وفئة التى يشتبه وضعها فى فيأ أو فأو . ويكثر الخلط أيضا فى الهمزة والنون : « وأكثر مايزلق فيه أئمة اللغة من حيث إيراد الألفاظ هو ما كان فيه الهمزة والنون . فمزلقة الهمزة أن بعضهم يراها أصلية وبعضهم يراها منقلبة عن حرف علة » ، « ومزلقة النون أطمّ وأعم فإنها تلتبس فى أوائل الألفاظ وأواسطها وأواخرها ، مثال الأول لفظة نرجس . ومثال الثانى لفظة الحنزاب أى الديك . وقس عليه

العنصر والعندل والعنصل ، ومثال الثالث الريان والدكان والسرهـان والبستان والعنوان ومالايحصى من نظائرها » (انظر الجاسوس ص ٣٣ ، ٣٨ ، ٢٨٦ ومابعدها و ٣٧٢ ومابعدها) .

(ز) وضع المعرب تحت لفظه .

سبق أن عرضا رأى الشدياق ضرورة التثبت قبل ادعاء تعريب الكلمة فإذا ثبت لدى المعجمى أن الكلمة معربة وجب عليه أن يعامل حروفها كلها على أنها أصلية ويضعها تحت لفظها دون ادعاء بوجود روائد فيهـا . يقول الشدياق منتقدا الفيروزابادى لوضعه كلمة إستبرق فى (برق) والأرجوان فى (رجو) : «ومن أمثلة الإجحاف : إيراد المصنف لفظة الإستبرق فى برق فأنزل الألف والسين والتاء فيها وهى نصف الحروف منزلة استخرج . وكذلك أورد الأرجوان فى رجو فأنزلها منزلة الأفعوان والأقحوان مع أنها عجمية فكان ينبغى أن تعامل معاملة العنفوان. وهذا الاعتبار أبعدها عن أصل وضعها ، وحجبها عن طالبها ، لأن الطالب يعتقد أن الهمزة والواو والنون فيها أصلية ، وأن حكم (سألتمونيها) لايجرى على الألفاظ العجمية وفى المطالع النصيرية أن الألف أصلية غير مبدلة من شىء فى الحروف والأسماء المبنية والأسماء العجمية ، لأنها غير مشتقة ولا متصرفة فلا يعرف لهـا أصل غير هذا الظاهر فلا يعدل عنه من غير دليل » ، ثم يقول : «وفى الواقع فإن اعتبار زيادة الحروف فى الألفاظ العجمية أمر غريب لأن شأن المريد أن يستغنى عنه بالأصل الذى ريد عليه ، وهنا ليس كذلك إذ لاشئ من الهمزة والألف والنون فى أرجوان زائد » (الجاسوس ص ٢٧ ، ٢٨) .

ويقول منتقدا بعض اللغويين الذين يبحثون عن اشتقاقات عربية لكلمات أعجمية . « ثم إن اعتبار هذه الزيادات أغرى الإمام ابن سيده والإمام النواوى باشتقاق الأندلس من مادة الدلس وهو الظلام ، واعتبار النون لامحالة زائدة » ثم يمضى قائلا : «فما معنى كون النون لامحالة زائدة واللفظة عجمية فهل يقال إذن إن النون والهمزة فى إسرافين رائدتان حتى يرجع أصلها إلى السرف أو إن الهمزة فى إسحاق زائدة حتى

يرجع إلى السحق ؟ » (السابق ص ٢٩ ، ٣٠) .

(ح) بيان درجة اللفظ فى الاستعمال .

اعتنى الشدياق من وظيفة المعجم النص على درجة اللفظ فى الاستعمال فقال . « من عادة المحققين من اللغويين أن ينبهوا على الفصيح من الكلام ، وعلى غير الفصيح ، وعلى الغريب ، والحوشى ، والمتروك ، والمهمل ، والمذموم ، واللثغة ، ونحو ذلك » ولذلك عاب على صاحب القاموس «إيراده الألفاظ إيرادا مطلقا من دون أن ينبه عليها » فى حين أن غيره نبه على درجتها .

* فمما أطلقه صاحب القاموس ونبه عليه بعضهم بقوله : ليس بثبت ، أو لا أدرى صحته ، أو لا أحققه . الإردب القناة التى يجرى فيها الماء فى باطن الأرض (الجاسوس ص ١٣٠) .

* ومما أطلقه ونبه غيره على أنه مختص ببعض القبائل العربية : الهَبَيَّحة الحارية الناعمة وهى بلغة حمير (السابق ص ١٣١).

* ومما ذكره من لغة العوام : « أعطنى شحتلة من كذا أى نتفة » مع أن الصاغانى نبه على أن هذه الكلمة ليست من كلام العرب وأنها من كلام أهل بغداد وقد تساءل الشدياق قائلا : « فإذا ساغ أن يروى عنهم الشحتلة ساغ أيضا أن يروى عن أهل الشام الشحتول والمتحتل بمعنى الصعلوك وساغ أيضا أن يروى عن غيرهم إلى مالا نهاية (السابق ص ١٣٢ ، ١٣٣) .

* ومما ذكره مطلقا مع نص غيره على أنه لثغة أو لهجة غير فصيحة قوله : « الذان : الناس » ، وقوله . « الديش : الديك » ، وقوله . «الثلثان : الساطان » ، وقوله . «الثابّة : الشابة »وقوله . « اعتثم به بمعنى اعتصم» (السابق ص ١٣٤ ، ١٣٥) .

* ومما ذكره مطلقا وهو نادر أو ضعيف جمع حدأة على حِداء بالمد ، وإثبات رقأ فى الدرجة . صعد فيها ، والمعروف . رقى ، وإثبات اسم المفعول من قرأ : مقرئ .. (السابق ص ٣٢١ ومابعدها) وإثبات كلمة

« الأعصج » بمعنى الأصلع مع قول ابن سيده فى المحكم : « رجل أعصج : أصلع ، لغة شنعاء لقوم من أطراف اليمن لا يؤمن بها » (السابق ص ١٣٢) .

٣ ـ مواصفات المعجمى الناجح :

اشترط الشدياق فيمن يتقدم لعمل المعجمى جملة شروط رآها ضرورية لتحقيق الدقة المطلوبة . وقد رد إلى فقد هذه الشروط أو بعضها ماشاب العمل المعجمى العربى من هنات . وأهم هذه الشروط :

(ا) تفرغه التام وإخلاصه للغته :

يرى الشدياق أن على المعجمى أن يتعامل مع اللغة تعامل المحب مع محبوبه ، فلايشغل باله إلا بها ، ولايصرف همه عنها إلى غيرها ، وهو يصور حبه لغته فيقول : « إن يكن المتقدمون قد اشتغلوا بهذه اللغة الشريفة فإنى قد عشقتها عشقا ، وكلفت بها حقا ، حتى صرت لها رقا . فأزهرت لها ذبالى ، وسهرت فيها ليالى . » (سر الليال ص ٢) .

ويرد كثيرا من أخطاء اللغويين إلى عدم تفرغهم لها فيقول : « هذا الخلل فاش فى غيره (غير القاموس) أيضا . وسببه توزيع أوقات هؤلاء المؤلفين على مصالح مختلفة . فينبغى لمن تصدى للغة ألا يشتغل بشىء آخر غيرها ، فإن اللغة العربية كالحرة تأبى الضرة » (السابق ص ٢١) ويكرر نفس المعنى فى كتابه الجاسوس فيقول : « من يتصدى للتأليف فى اللغة العربية ينبغى له أن يقتصر عليها ولايشرك بها شيئا فإنها كالروج الحرة تأنف من الضرة » (ص ٧٣) .

وينسب كثرة ماوقع فيه الليث من تصحيف إلى أنه « كان غنيا وعائشا بين ضرتين . وهاتان الخطتان تحملان الإنسان على أن يرتكب ماهو أعظم من التصحيف والتحريف (الجاسوس ص ٤١٧) .

كما ينصح من يؤلف فى اللغة ألا يوزع فكره بين أكثر من عمل فى وقت واحد ، لأن العمل اللغوى يحتاج إلى تروٍّ ومراجعة وحسن تدبر « أعتقد أنه لم يكن لخلل كتابه (القاموس المحيط) من سبب سوى أنه كان رحمه الله فى خلال تأليفه له مشتغلا بتأليف كتب أخرى ، فقد ذكر له الشارح فى تاج العروس نيفا وأربعين مؤلفا فكان لايراجع مايكتبه

فى القاموس . وأعظم شاهد لذلك أنه لم ينسق الواو والياء فى المعتل وكثيرا ما يكرر اللفظة فى مادتها أو يحيل ذكرها فى موضع ولايذكرها فيه ، سأن من تنازعته الأشغال وتجاذبته خوالج البال » (السابق ص٧٣) .

(ب) استنفاد المراجع الممكنة والتزام الأمانة العلمية .

يرى الشدياق أن على المعجمى أن يستنفد كل المراجع الممكنة قبل أن يثبت كلمة فى معجمه ، وأن يذكر اختلاف الأقوال فيما يتعرض له من مسائل ، وألا يخفى شيئا من مصادره أو يحجب أسماء بعضها ، وهو من أجل هذا يقسو على الفيروزابادى الذى كثيرا ما أخل بهذه الشروط فيقول : «فإن من تصدى للتأليف فى العربية تعين عليه أن يذكر اختلاف الأقوال فيما يحرره من المسائل ولايقول فيها بهوى نفسه . ولايعتمد فيها على حدسه ألا ترى أن شراح الحديث الشريف إذا أوردوا حديثا ذكروا الخلاف فى لفظه ومعناه ، وكذلك المفسرون يذكرون اختلاف القراءات والتأويل فما ضر المصنف لو كان تروى فى (تقيأت) وذكر الخلاف فيها فإن قيل : إنه لم يكن عنده نسخة من التهذيب ولسان العرب وأساس البلاغة قلت هذا من قبيل قولهم عذر أقبح من ذنب أما أولا فلأنه شهد على نفسه بأنه جمع كتابه من المحكم والعباب ، وصاحب العباب لم يذكر هذا الحرف فكان ينبغى له أن يفكر فى سبب ذلك لأن العباب من الكتب الجامعة . والثانى أنه ألف قاموسه فى ربيد بعد أن زار مصر وأخذ عن علمائها . فكيف يحتمل أنه لما كان بمصر لم يسمع بذكر اللسان ، وبالتنويه به ؟ فليس من المحتمل أنه سافر من مصر من دون الحصول على نسخة من اللسان ، فمن ثم أقول إما أنه لم يكن عنده نسخة من اللسان وهو قصور ، وإما أنه كان عنده ولم يستقل منه حسدا فالقصور أعظم . ولكن إذا لم يكن عنده التهذيب واللسان فى جملة كتبه فما معنى قوله فى خطبة القاموس إنه صريح ألفى مصنف من الكتب الفاخرة . وأغرب من ذلك أنه مع شدة حرصه على ذكر أسماء الفقهاء والمحدّثين فى مشارق الأرض ومغاربها لم يذكر الأزهرى وابن منظور فى جملتهم ولا فى جملة المؤلفين . » (الجاسوس ص ٤١٨) . كما كان دائب الانتقاد

الفيروزابادى لتجاهله هدى العالمين الخليليين ويقول عن الأول : «يتسيس من كلام الشارح أن المصنف كان عنده التهذيب الأزهرى وكشف قال إذن فى الخطبة (وكتب نزهة من الدهر ألتمس كتابا جامعا بسيطا . ولما أعيانى الطلاب سرعت فى كتابى الموسوم باللامع المعلم العجاب الجامع بين المحكم والعباب ؟) (الحاسوس ص ٤٤١) ويقول عن التانى فأحذر ممن رأى هذا الإسهاب لغير طائل أن يذكر ابن منظور الذى شرف أمة الإسلام بلسانه ، وأوضح مشكلات اللغة ببيانه وإنما هو الحسد . كم أضنى من حسد . وأذكى من كمد ، وأوهى من جلد ، وألقى فى كبد » (السابق ص ٤١٩)

(ح) تمكنه من قواعد الصرف .

لما كان أساس ترتيب الكلمات فى المعجم تجريدها من الزوائد وردها إلى أصولها فإن على المعجمى أن يكون على دراية كافية بقواعد تصريف الكلمات . وتمييز مجردها من مزيدها ، وتحديد أحرف الزيادة من بين حروفها ، وعلى معرفة بالأصول الواوية واليائية ، وعلى مقدرة فى تمييز المعتل من المهموز وقديما عيب على ابن دريد كثرة أخطائه الصرفية فى معجمه الجمهرة حتى قال عنه ابن جنى : «فيه أيضا من اضطراب التصنيف وفساد التصريف ما أعذر واضعه فيه لبعده عن معرفة هذا الأمر ولما كتبته وقّعت فى متونه وحواشيه جميعا من التنبيه على هـذه المواضع ما استحييت من كثرته » (الخصائص ٣ / ٢٨٨)

وقد مرت أمثلة كثيرة للكلمات التى تشتبه أصولها . ونضيف الآن أمثلة للكلمات التى أخطأ المعجمون فى معرفة أصولها ، كما ذكر السيوطى .

١ – وضع آنفنى الشىء ، أى أعجبنى فى «أنف » و « سبق » والصواب أن يذكر فى أنف فقط . فإن أصله آأنفنى فقلبت الهمزة الثانية ألفا كما قلبت فى آمن . ولو كان من سبق لقلت آنافنى ، كما تقول أصارنى وعلى الأصل أنبقنى .

٢ – وضع الفيروزابادى حرف (ى) مقابل مادة رنا ، وهى واوية .

٣ ــ ذكر الفيروزابادى «الحارة» فى «حبر» وموضعها فى الواو .

٤ ــ وضع «التمتمة» فى «تمم» و«تيم» والصواب ذكرها فى تمم فقط لأنها تتناول بتمام عمره .

٥ ــ التخليط فى إيراد مضعف الرباعى فهم يوردونه تارة فى مضعف الثلاثى على مذهب الكوفيين . كما فعل الفيروزابادى فى «شلتل» وتارة يفردونه بمادته على حدتها كما فعل الفيروزابادى فى «سلسل» .

(الجاسوس ص ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٥٠٠ وانظر سر الليال ص ٣٢) .

ويدخل كذلك فى التمكن من قواعد الصرف المعرفة بأجناس الكلام كاسم الفاعل والمفعول وصيغة المبالغة والمصدر واسم المصدر وقد عاب الشدياق على الفيروزابادى خلطه بعض الأجناس ببعض كخلطه المصدر باسم المصدر (انظر الجاسوس ص ١٩٦ ، ١٩٨) ويدخل كذلك توزيع الجموع على مفرداتها فلا يتمع فيما وقع فيه الفيروزابادى حين قال: «الرزيئة: المصيبة كالرزء .. ج أرزاء ورزايا» فالأول جمع الرزء، والثانى جمع الرزيئة» (السابق ص ٢٠٥) .

(د) معرفته بعدد من اللغات الأجنبية وبخاصة السامية .

يجب على اللغوى أن يعرف عدداً من اللغات الأجنبية لأنه يحتاج إليها فى

١ ــ الحكم بتعريب كلمة أو عربيتها .

٢ ــ الاستعانة بالأصل السامى فى تفسير الكلمة أو ردها إلى أصلها .

٣ ــ الوصول إلى جذر الكلمة بناء على الحكم بعربيتها أو عجمتها .

٤ ــ نسبة الكلمات المعرّبة إلى لغاتها الأصلية .

والاقتباسات الآتية من نص كلام الشدياق تدل على ما ذكرنا :

« ذكر صاحب المصباح .. النرجس فى رجس ، وقال إن النرجس معرب ونونه زائدة بالنفاق . قال الشدياق . « والغرابة هنا .. أنه أمر أولا بأنه معرب ، ثم قال إن نونه زائدة ، وهو عندى ناقض محض ، لأن نونه فى أصله أصلية لأنه

ومعرب نركس كما فى العباب ، فهل يقال إنه بعد التعريب صارت نوبه رائدة ؟ » (الجاسوس ص ٢٨)

* أورد الفيروزابادى الكروبيين محفظة الراء فى « كرب » وفسرها بسادة الملائكة . قال الشدياق . « وهى لفظه عبرانية أصلها كروبيم ومفردها كروب فإن الياء والميم فى هذه اللغه علامة الجمع . وقد ذكرت فى التوراة غير مرة وترجمت إلى سائر اللغات بهذا اللفظ ، واشتقاقها من فعل يدل على القرب » (السابق ص ٢١١) .

* أخطأ الفيروزابادى فى كثير من محاولاته رد المعرّب إلى أصله وقال الشدياق « كقوله فى الترياق إنه من اليونانى . مع أن القاف لاتوجد فى لغة اليونان ولافى غيرها » (السابق والصفحة).

* قال الشدياق . « البعت بالصفا (شمعون الصفا) لقب أحد الحواريين المشهور باسم بطرس . وكان يقال له أولا شمعون فشبهه عيسى عليه السلام بالصخرة وهى فى اللغة اللاتينية واليونانية بتروس فعرّبها نصارى الشام بطرس ، واستعملوا مرادفها فى العربية وهو صفا ، وهو فى أصل اللغة جمع صفاة وهى الصخرة الملساء ، فليس هو مصدرًا لصفا يصفو كما توهمه المصنف » (السابق ص ٣٩٨ ، ٣٩٩)

* قال الفيروزابادى إن اشتقاق الاسم « موسى » من الماء والشجر ، فهو الماء وسا : الشجر . وقال صاحب الكليات : إنها من السريانيه . وقال صاحب اللسان : هى بالعبرانية موشى ، ومعناه الجذب ، لأنه جذب من الماء . وعقب الشدياق على هذه الآراء قائلا .

١ – لا دخل للسريانية هنا .

٢ – الأحرى أنه من لسان القبط القديم وإن ابنة فرعون لم تكن يهودية حتى يكون اللفظ عبرياً .

٣ – عبارة التوراة . ولما كبر الصبى جاءت به أمه إلى ابنة فرعون فاتخذته ابناً لها وسمته موسى ، قالت لأنى انتشلته من الماء .

٤ – اسم موسى فى التوراة : موسى بعير إتباع ومعناه منتشول .

٥ – لفظ موسى يدل على الماء وإنما تدل عليه قرينة الحال (السابق ص٣٩٩)

(هـ) تنبهه لاحتمالات التصحيف

من أهم مواصفات المعجمى العربى يقظته الشديدة ، وحساسيته المرهفة وتنبهه لاحتمالات التصحيف أو التحريف حين يبدو أحد المعانى نافرًا عن القواعدالصوتية أو الاشتقاقية ، أو عن المعنى العام للمادة.

وقد سبق التمثيل لذلك أثناء الحديث عن منهجيته المعجمية ، ونضيف هنا تشبيها طريفا استعمله الشدياق وهو تشبيه من يروى الكلماتمحرفة أومصحفة « بتاجر يبيع الخرز على أنه ياقوت » (الجاسوس ص ١٣١) .

(و) عوصه على المعانى ودقته فى ربط مايبدو منها متنافرًا

من أهم مواصفات المعجمى العربى كذلك قدرته على التجريد ، والربط بين المعانى الجزئية أو المتنافرة وقد سبق التمثيل للمعانى الجزئية أثناء الحديث عن منهجيته المعجمية .

أما ربط المعانى المتنافرة فيتمثل بوضوح فى الكلمات ذات المعانى المتضادة وقد أجاد الشدياق التمثيل لهذا النوع من الكلمات والتماس الأسباب التى أدت إلى وجوده ، ومن ذلك تفسيره التضاد على أنه من باب حمل النقيض على النقيض ، وقوله « والعالم فى هذا الأسلوب أن يكون المعنى المنفور منه هو الأصل ، ثم تستعمله العرب بنقيض معناه جبرًا له عما فاته ، وهو على حد قولنا للأعمى بصير. والسبب الثانى · اختلاف الرأى والنظر فى موصوف ما . والسبب الثالث كون صيغة الفعل من أصله تحتمله كما فى باع الشىء بمعنى باعه وبمعنى اشتراه فإن أصله من مد اليد . « (سر الليال ص ٣٣) .

وتفسيره إطلاق الأبَد على الولد الذى أتت عليه سنة بأنه من قبيل التفاؤل بانه يعيش أبدًا (السابق ص ٣٤) .

وتفسيره التضعيف بمعنى الزيادة على الشىء والنقص منه بأن « بناء الزيادة من الصّعف بمعنى المثل ، وبناء النقص من الضَّعف الذى هو ضد القوة » (الحاسوس ص ٢٩٨)

مراجع البحث

١ ـ احمد فارس الشدياق ـ د محمد يوسف نجم ـ رسالة دكتوراه من الجامعة الأمريكية ببيروت ١٩٤٨

٢ ـ أحمد فارس الشدياق وآراؤه اللغوية والأدبية ـ د محمد أحمد خلف الله معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ .

٣ ـ الجاسوس على القاموس ـ أحمد فارس الشدياق ـ القسطنطينية ـ طبع الجوائب ١٢٩٩ هـ

٤ ـ الخصائص ـ ابن جنى . دار الهدى ـ بيروت ـ ط ثانيه .

٥ الساق على الساق فيما هو الفارياق ـ أحمد فارس الشدياق باريس ١٨٥٥ .

٦ ـ سر الليال فى القلب والإبدال ـ أحمد فارس الشدياق الآستانة ١٢٨٤ هـ

٧ ـ علم الدلاله ـ د . أحمد مختار عمر . دار العروبة بالكويت ـ ١٩٨٢

٨ ـ القاموس المحيط للفيروزابادى

٩ ـ كسر الرعائب فى منتجات الجوائب ـ مجموعة مقالات كتبها أحمد فارس الشدياق وجمعها ابنه سليم ـ الآستانة سنة ١٢٨٨ هـ وما بعدها .

أحمد مختار عمر
استاذ علم اللغة بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة